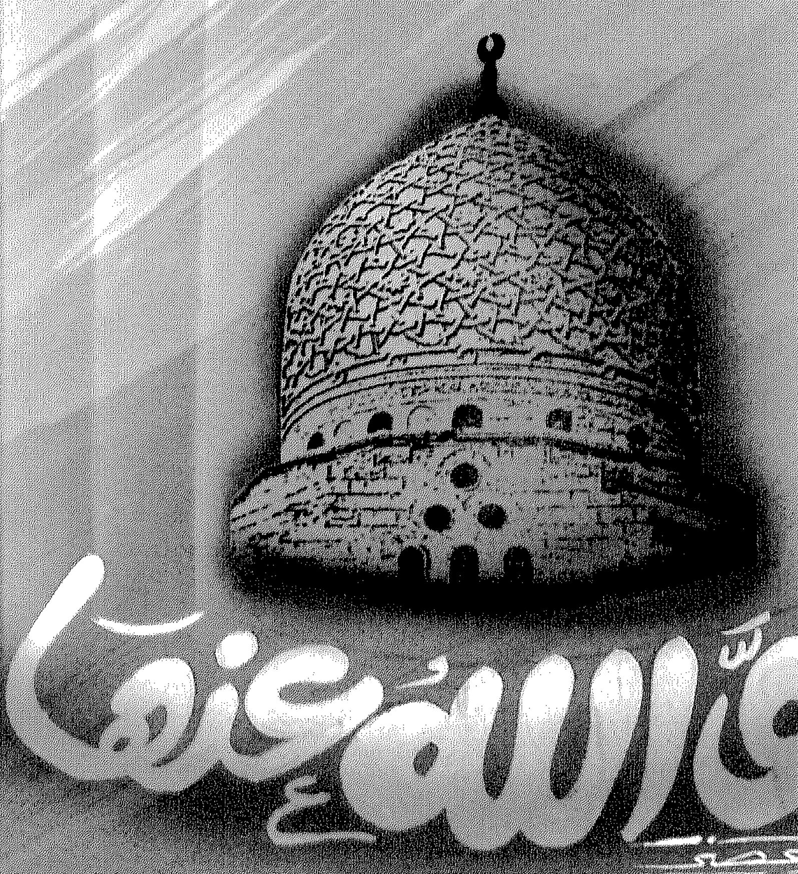
السَّيدة نفِيسَة

كريمة الدّارين



رضي الله عنها

المكتبة التوفيقية



آل البيت

السيدة نفيسة

كريمة الدارين

رضي الله عنها

تأليف

النبوى جبر سراج

المكتبة التوفيقية

أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقــــدمة :-

الحــمد لله رب العــالمين والصلاة والســلام على ســيدنا مــحمــد سيــد الأولين والآخرين وأميــر الأنبياء والمرسلين ﷺ وعلى آل بيته الطيــبين الطاهرين فهم أهل الله وأحباؤه اصطفاهم واجتباهم وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، حبب فيهم أهل محبته وأكرم بلادنا مصر المحروسة بســكناهم فى قبور بأرضها الطيبة نسأل الله تعالى أن تكون رياضا من رياض الجنة وإلى أن يجمعهم بجدهم المصطفى ﷺ فى الفردوس الأعلى فهم آل بيته وعترته وهم وصاياه إلى أهل طاعتة وأرباب مودته . .

وسيدتنا نفـيسة رضى الله عنها الملقـبة بنفيسة العلم كـريمة الدارين هى العابدة الزاهدة الحافظة لكتاب الله التقـية النقية منبع الخير ومصدر البـر ومشرق الهداية قوية الدين كاملة اليقين .

حلت بأرض مصر لتزيدها شرفا ويتيسر للمصريين التعبير عن حبهم لآل البيت مودة فى قربى رســول الله ﷺ فكان لمصر الحظ الأوفر بهذا الجـوار الكريم الذى عبر عنه المحب لآل البيت .

مــوالاتهم فـرض وحـبـهم هُدىً — وطاعــــتـهمْ وُدٌّ وودهمــــوتقى

فـيارب زدنـى فى يقينـى ذخيـرةً — وزد حـبـهم يارب فـى حـسناتى

وقد لقبت السيــدة نفيسة بنفيسة الدارين ونفـيسة العلم والطاهرة والعابدة وهى سيدة أهل الفتوة والشريفة العلوية ومشبعة المحروم والزاهدة الساجدة التالية لكتاب الله - والغزيرة البركات كريمة العنصر والمنبت إحدى حفيدات المصطفى ﷺ نبتة كريمة من آل البيت الكرام .

وقد غلب عليها لقب نفيسة العلم لما كانت تستنبطه من دخائل العلم واستجلاء

غوامضـه حتى إنه كان يرجع إليها العلـماء في المعضلات ويشدون إليـها الرحال من أنحاء البلاد للاستنارة بعلمها وحكمتها فقد كانت تعمل بما علمت فأورثها الله علم ما لم تعلم . جمعت إلى حفظ القرآن الكريم فى الـسـابعة من عمرها علوم النبوة. فهى العابدة الراشدة الزاهدة التقية النقية نفيسة العلم ونفيسة المصريين ولا يزال قبرها موطن الأفئـدة لمالها مــن بركات من عطاء الله لولـيـة طاهرة من أوليائه الـصالحين وأحبـابه المكرمين :

لقد فـاق حبها للعلم أكـثر نسـاء عصـرها وقد عرف ذلك عنها فكانت تجـتمع بطلاب العلم الذين كانوا يفدون إلى دارها فى المدينة المنورة من مختلف بلاد المسلمين خاصة فى مواسم الحج وكان أكثر هؤلاء من المصريين فقد ورثت عن جدها المصطفى ﷺ ميـراث النبوة وهو العلم والحكمة وكـانت تنشر هذا الميراث بل كـان نشره أحب شىء إليهـا ولذلك لا نعجب إذا علمنا أن العلمـاء كانوا يسعـون إلى مجلس علمـها والاستماع إلى شرح أحاديث النبى ﷺ بطريقة تأخـذ بالألباب فقد صاغها الله تعالى من معدن كريم وأنبتها نباتا حسنا ومع ذلك كـانت متواضعة هينة لينة وكانت أخلاقها نموذجا لأخلاق آل البيت المستمدة من أخلاق جدها المصطفى ﷺ .

وسع الله عليهـا فى الرزق فكانت موسـرة وكان لها مـال كثيـر تحسن منه إلى المحتـاجين فما كانت ترد سـائلا ولا تمنع محتـاجًا وكانت تبحث عن كل ذى حـاجة فتقضيها له .

ذكر أن أحد الأمراء وهـب لها مائة ألف درهم اعترافا بفـضل الله الذى أكرمه وشكرا له سـبحانه وتعـالى الذى هداه إلى طريقه المسـتقـيم بعد أن كاد يهلـك فلما أخذت هذا المال صرته صررا بين يديها وفرقتها كلها على الفقراء والمساكين ولما ألحت لها واحدة من أهلها أن لـو تركت شيئا من المال تشترى به طعامـا لإفطارها قالت لها خذى غزلا غزلته بيدى فبيعيه واشـترى لنا به طعامًا ففعلت ولم تأخذ صاحبة النفس

الأبية العفيفة الطاهرة شيئًا من هذا المال الذى أصرت على توزيعه قبل أن يحل المساء فيبيت عندها منه شىء .

لقد أخلص لها كل من عرفها لشدة عطفها وإيثارها وحبها الخير لكل من حولها . ولهذا كانت ترتاح إلى مجلسها القلوب فكان مجلسها كروضة من رياض الجنة وكانت دارها مهوى أفئدة المحبين لآل البيت .

نسب السيدة نفيسة الشريف وميلادها :

هى السيدة «نفيسة» بنت السيد «حسن الأنور» بن السيد «زيد الأبلج» بن السيد «الإمام الحسن السبط» بن الإمام «على بن أبى طالب» زوج السيدة «فاطمة الزهراء» ابنة سيد المرسلين محمد بن عبد الله إمام الأنبياء ومصباح اليقين عليه وعلى آله الطيبين أفضل صلاة الله وسلامه.

فالسيدة نفيسه هى من أهل بيت رسول الله ﷺ ولد أبوها بمكة عام واحد ومائة للهجرة ولقب بالأنور لوضاءة وجهه. وهو من أشراف العلويين عالم كبير له مكانته بين أهل البيت الكرام. ولاه الخليفة أبو جعفر المنصور أميرًا على المدينة المنورة فترة خمس سنوات وكانت له الدعوة المجابة والرأى السديد. ولقب بألقاب تدل على طبيعتة السمحة وخلقه الكريم، فلقبوه بسخى الأسخياء، وشيخ الشيوخ ومدح بالقصائد الكثيرة التى نوهت بكرمه وعلمه وشرفه.

روى أنه لما ولى المدينة كان بها رجل فقير يدعى ابن أبى ذئيب فقربه الحسن منه وأحسن إليه حتى أصبح من أعيان القوم وأصبح له صوت مسموع فى مجلس الخليفة المنصور. ولكن الرجل بدأ يشى بالحسن الأنور فى مجلس الخليفة على أنه يطلب الخلافه لنفسه ولا يكتفى بالإمارة ، فما كان من الخليفة المنصور إلا أن سلب من الحسن سلطانه وأملاكه. وبعد مدة تبين كذب ابن ذئيب فرد الخليفة للحسن اعتباره وأمواله وبالغ فى إكرامه وأعاده للمدينة ولما دخل المدينة أرسل هدية لابن أبى ذئيب دون أن يلومه أو يحدثه فى الأمر الذى فعل .

وروى أن أحد الشعراء أنشد يمدح الحسن الأنور وهو أمير المدينة على عادة الشعراء فقال «**الله فرد وابن زيد فرد**» فغضب الحسن ولام الشاعر وقال له «**قل الله فرد وابن زيد عبد**». ثم نزل من على سريره وألصق خده بالأرض.

كما روى أن زيد الأبلج جد السيدة نفيسة كان يأخذ ولده الحسن الأنور ويدخله إلى الحجرة النبوية و يقول **«يا رسول اللـــه، هذا ولدى الحســـن أنا عنـه راضٍ»** وظل يتردد على قــبر المصطفى ويكرر هذه العبارة حـتى رأى النبى ﷺ فى المنام يقول له : **«يازيد أنا راض عن ولدك برضـاك عنه . والحق سـبحانه وتعـالى راض عنه برضـاى عليه».**

وهكذا فعل الحسن الأنور بابنته السيدة نفـيسة وتم له ما تمنى. وقد ذكر الحافظ أبو عبد الله هذه الواقعة فى تحفة الأشراف.

لقد شمل الله السيدة نفيـسة بكرمه الربانى منذ مولدها. فقد ولدت رضى الله عنهـا - فى الحادى عـشر مـن ربيع الأول سنة خمس وأربعـين ومائة هجـرية؛ بمكة المكرمة فى عهد الخليفة أبى جعفر المنصـور ثانى الخلفاء العباسيين. وميلادها جاء فى يوم احتفال المسلمين بمولد جـدها المصطفى ﷺ فكان ميلادها فى هذا اليوم وفى هذا الشهر المبارك مولدًا ميمـونًا تفاءل به الناس فى المدينة المنورة وفى مكة المكرمة وخاصة أهل البيت الأطهار. فاستقبلوا الوليدة بالبشـر والسرور؛ واعتبروا مولدها الميمون رمزًا ودليلا على سعادة هذه الطاهرة الكريمة وعلو شأنها عند أهل السماء وأهل الأرض فى الأولين والآخرين .

ولوجه الشبه بينها وبين عمتها أطلق عليـها أبوها اسم عمتها نفيسة التى رحلت فيما بعـد إلى مصر وتوفيت بها أيضًا ومقامـها بالقرب من مسجد السيدة نـفيسه وقد توفيت قبل وفاة السيدة نفيسة رضى الله عنهما .

وتحقق رجاء أهل البـيت قبل نشأة السيدة نفيـسة رضى الله عنها بالمدينة المنورة حيث كان والدها عـاملا عليها من قبل الخليـفة العباسى وأصبـحت تحفظ القرآن مع ملازمة حرم النبى ﷺ وكان والدها يأخذ بيدها ويدخل مـعها الحجرة النبويه ويقول:

«يارسول الله؛ أنا راضٍ عن ابنتى نفيسه». واستمر على ذلك حتى رأى النبى ﷺ فى المنام يقول له : «يا حسن إننى راضٍ عن ابنتك نفيسة برضاك عنها، والحق سبحانه وتعالى راضٍ عنها برضاى عنها [1]» .

وكان أبوها حسن الأنور رضى الله عنه وقت ولادتها كبير أهل البيت وعظيم بنى هاشم . وكان يعقد مجلس العلم فى البيت الحرام بمكة المكرمة يدارس الناس العلم ويفقههم فى الدين، ويدعوهم إلى كمال الإيمان. وبينما هو فى مكانه فى مجلس علمه إذ أقبلت جاريته فرحة مسرورة وزفت إليه بشرى مولد السيدة نفيسة وقالت «يا سيدى أبشر فقد ولدت لك الليلة مولودة جميلة لم نر أحسن منها وجهاً يتلألأ النور من جبينها ويشع من محياها» فلما سمع الشيخ هذه البشرى خر لله ساجدًا يشكر الله على عظيم نعمه ويحمده على استجابة دعائه، فلطالما دعا الله وتضرع إليه أن يرزقه وليدة تكون حبيبة إخوتها الذكور، فقد رزقه الله من الذكور عشرة أولاد لذلك كان كثيرا ما يبتهل إلى ربه أن يرزقه بنتًا رقيقة يعولها ويرعاها ويؤدبها ويلقنها العلوم النافعة.

وها هو ذا نراه - عندما جاءته البشرى بميلاد الابنة توجه إلى أهل مجلسه وقال: «لقد بلغنى أن رسول الله ﷺ قال : من كان له ثلاث بنات يؤدبهن ويكفلهن ويرحمهن وجبت له الجنة. فقال بعض الصحابة : أرأيت لو كانت اثنتين . فقال ﷺ : ولو كانت اثنتين . فقال رجل: ولو كانت واحدة يا رسول الله . فقال النبى ﷺ : ولو كانت واحدة «ورغبة فى هذا الجزاء العظيم توجهت إلى ربى فى سرى وفى علانيتى أن يرزقنى ابنة تكون لى ولأمها قرة عين وريحانة نشمها وننعم بها. وتكون مثل جدتها الزهراء رضى الله عنها . والحمد لله الذى فتح لرجائي باب السماء وأجاب دعائي وحقق رجائى فى هذا الشهر الكريم شهر مولد جدنا المصطفى ﷺ»

(١) المرجع : الجواهر النفيسة لمحمد عبد الخالق .

ثم قام فأجزل العطاء للجارية على هذه البشرى ثم قال لها : **«مرى أهل البيت وقولى لهم إنى أحببت أن أسميها نفيسة . فسوف تكون نفيسة إن شاء الله»** . وبعد أن فرغ رضى الله عنه من حديثه للجارية أقبل عليه الحاضرون يهنئون ويحمدون الله فدعا الله **«اللهم أنبتها نباتًا حسنًا وتقبلها قبولا طيبا واجعلها من عبادك الصالحين وأوليائك المقربين الذين تحبهم ويحبونيك وتصافيهم ويصافونك و تقبل عليهم ويقبلون عليك . اللهم اجعلها معدن الفضل ومنبع الخير ومصدر البر ومشرق الهداية والنور. اللهم اجعلها نفيسة العلم عظيمة الحكمة جليلة القدر قوية الدين كاملة اليقين»** .

وكان الحاضرون يؤمنون على دعائه وهم جلوس فى مجلس العلم الذى كانت تغشاه رحمة الله وتحفه ملائكة الرحمن ويذكرهم الله فيمن عنده وسبحانه وتعالى هو السميع المجيب.

وقبل أن ينصرف الناس من مجلس العلم حضر رسول الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور فسلم على العالم الفقية الحسن الأنور وناوله كتاب الخليفة ومع الكتاب صرة كبيره هدية تحتوى على عشرين ألف دينار هى هدية الخلافة . ففض الشيخ الكتاب وقرأه فى أناة والقوم حوله بين وجل وخائف على كبير أهل البيت أن يمسه سوء أو يناله مكروه . فلما رأوا الشيخ يبكى زاد قلقهم فسألوه عن سبب بكائه فأجابهم إن السبب هو تهيبه من عظيم الأمانة التى ألقيت على عاتقه فقد ولاه الخليفة أميرًا على المدينة المنورة . فتهللت وجوه الناس من حوله بالفرح والسرور وهنئوه على ولايته مدينة رسول الله ﷺ قائلين هنيئًا لأهل المدينة . وسر الناس غاية السرور بتقارب العلويين والعباسيين بعدما طال الخلاف بينهما مدة طويلة .

ثم استأذن الشيخ وعاد إلى أهله فأخبرهم بنبأ اختياره أميرًا للمدينة المنورة فشجعوه ودفعوا عنه التردد فى قبول العمل مع العباسيين قائلين **«لعلك تنصف**

المظلوم وتغيث الملهوف وتحمى الطريد وتنشر العدل وتعطى كل ذى حق حقه» .

فرضى ووافق على الإمارة قائلا : **«إذا كانت الإمارة نعمة فإن هذه الوليدة نفيسة بشيرٌ بها فأرونى هذه الوليدة لأمتع عينى بمشاهدتها فإنها طالع يمن وخير وبركة وبشير سعد بإذن الله تعالى»** . ولما رآها قال **«يالها من وليدة مباركة ميمونة فى يوم مبارك ميمون فمنذ قرنين إلا قليلا ولد فى مثل هذا اليوم جدى رسول الله ﷺ وأشرقت فيه شمس طلعته على الدنيا . ولقد شاء الله تعالى أن يكون لنا فى هذا اليوم نعما كثيرة، فولدت لنا فيه وليدة مباركة وصفت لنا فيه الخلافة ونلنا فيه الإمارة على مدينة رسول الله ﷺ حيث قبره الشريف والروضة الشريفة والجوار الكريم . فيالها من نعم جاءت مع مقدم هذه الوليدة المباركة»** .

ثم أنشد ما قاله الأعرابى الذى وقف عند القبر وأنشأ شعراً نال به بشرى الجنة :-

ياخير من دفنت فى القاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

وصاحباك فما أنساهما أبداً منى السلام عليكم ما جرى القلم

وهكذا ولدت السيدة نفيسة بمكة المكرمة ونشأت بالمدينة المنورة فاجتمع لها الشرف العظيم وكانت تحب العبادة من صغرها فكانت لاتفارق مسجد الرسول ﷺ وقد علا قدرها بشرف الحسب والنسب إنها ابنة الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الإمام الحسن بن على بن أبى طالب كرم الله وجه وابنة فاطمة الزهراء رضى الله عنها وعنهم أجمعين .

وأما جد السيدة نفيسة حفيد رسول الله ﷺ فهو زيد الأبلج بن الإمام الحسن بن على كرم الله وجهه وكنيته أبو الحسن وإليه تنسب الشيعة الزيدية يعد من خير الهاشميين عبادة وورعًا وشجاعةً حتى أن خلفاء وأمراء بنى أميه منعوا الناس من

حضور مجلسه خوفا من فصاحته وسحر حديثه ؛ ولئلا يستميل الناس وينقلبوا على بنى أميه. قال عنه أبو إسحاق السبيعى : «رأيت زايداً بن على فلم أر فى أهله مثله ولا أعلم منه ولا أفضل ، كان أفصحهم لسانًا وأكثرهم زهداً وبيانًا» . وكان دائم التطلع للخلافة يرى أنه أحق بها فلما بلغ ذلك الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك أرسل إليه وقال له : «بلغنى أنك تروم الخلافة وأنت لا تصلح لها لأن أمك أمة . . » فأجابه زيد : «قد كان إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام كذلك أمه هاجر ، بينما إسحاق أخوه أمه سارة حرة وكلاهما نبيان من الأنبياء فما تقول ؟ وأخرج الله سبحانه وتعالى من صلب إسماعيل خير ولد آدم . . » . فسكت هشام ثم قال له قم فرد عليه زيد إذًا لا ترانى إلا حيث تكره. وما إن خرج من الدار حتى قال : «ما أحب الحياة أحد إلا ذل» .

وقال عنه ابن أخيه جعفر الصادق حين قالوا له إن الرافضه يتبرءون من عمل زيد فقال : «وبرئ الله ممن تبرأ من عمى. كان والله أقرأنا لكتاب الله وأفقهنا فى دين الله، وأوصلنا للرحم . والله ما ترك فينا لدين ولا لآخرة مثله» .

وقال عنه الإمام أبو حنيفة : «شاهدت زيد بن على كما شاهدت أهله فما رأيت فى زمانه أفقه منه ولا أعلم ولا أسرع جوابًا ولا أبين قولا. لقد كان منقطع القرين ولقد كان يدعى بحليف القرآن . قرأ مرة قوله تعالى : (وإن تتولوا يَسْتبدلْ قومًا غيْرَكم ثم لا يكونوا أمثالكم)[1] فقال إن هذا لوعيد وتهديد من الله . اللهم لا تجعلنا ممن تولى عنك فاستبدلت به بدلا» .

وحدث أن أسيء إليه من نفر فى الكوفة فقرر مغادرتها إلى المدينة فتبعه أهل الكوفة ورجوه أن يبقى معهم ووعدوه أن يناصروه وقالوا : «أين تذهب ومعك مائة ألف سيف نضرب بها دونك ونحن نريدك لتكون الخليفة . فلم يبق من بنى أمية إلا

(١) سورة محمد : الآية (٣٧) .

نفر قليل» . فرد عليهم بأنه يخشى غدرهم وتـخليهم عن نصرته. فأجابوه «إنا نرجو أن تكون أنت المنصور أي الخليفة وأن يكون الزمان الذى تهلك فيه بنى أمية» . وظلوا يرجونه حـتى يرجع إلى الكوفة. واشـترط عليـه بعضهم أن يتـبرأ من أبى بكر وعـمر مقـابل نصرته فـما كان منه إلا أن رد عليـهم قائلا : «كـلا بل أتولاهما» فقالوا له إذا نرفضك فقال لهم «اذهبوا فأنتم الرافضة» فسموا بذلك من وقتها . ثم اجتمعت عليه طائفه أخرى تبرأت من كلام هؤلاء الرافضة فقبلهم وسموا بالزيدية .

وقد قاتل مـن أجل استرداد حق بنى هاشم فى الخلافـة حتى استشـهد بعد أن غدر به الشيعة كعادتهم وكسابق عهدهم بجده الحسين بن على رضى الله عنهما ورغم حسن بلائه فى القتال فقد أصابه سـهم فى رأسه فى شهر صفر من عام ثلاثه وثلاثين ومائة للهجـرة وكان عمره اثنين وأربعين سنة على إحدى الروايات واخـتلف أصحابه بعد استـشهاده فى موضع دفـنه . فدفنوه فى حفرة غـير أن أعوان بنى أميـة أخرجوا الجثـة وصلبوها وحـرقوها وذروا رماد الجـثة فى نهر الفـرات . وفى رواية أنهم ذروا نصف الجثة فى نهـر الفرات والنصف الآخر فى الزرع. وقال عمـيل بنى أمية يوسف بن عمر أمير الكوفه : «والله يا أهل الكوفة لأدعنكم تأكلونه فى طعـامكم وتشربونه فى مائكم» .

ولا يذكر نسب السيدة نفيسة رضى الله عنها إلا ويذكر جدها الإمام الحسن بن على رضى الله عنه وكرم وجه أبيه ، فقد التف حوله الناس بعد استشهاد أبيه . وهو الذى صدق قـول جده المصطفى ﷺ فـيه «إن ابنى هذا سـيد وسـيـصلح الله به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين». فكان سببًـا فى حقن دماء المسلمين حين آثر الصلح مع معاوية – على ما فى هذا الصلح من غمط لحقه فى الخلافة – على الاستمرار فى القتال وإراقة دماء المسلمين .

والحسن وأخوه الحسين رضى الـله عنهما اختصهمـا رسول الله صلى الله عليه

وسلم بنسبهما إليه فهمـا ابناه وابنا ابنته السيدة فاطمة الزهراء قال ﷺ «**كل بنى أنثى عصبتهم لأبيهم ماخلا ولد فاطمة فإنى أبوهم وعصبتهم**» .

وهكذا نالت السيدة نفيسة شرفا على شرف فهى النسيبة الشريفة النفيسة الطاهرة رضى الله عنهـا وأكرم من أحبـها ووالدها وداوم على مـودتها ودعـالها وزار قـبرها وصلى فى مسجدها وعرض نفسه لبركاتها .

زواجها من ابن عمها إسحق المؤتمن :

ذكر فى سيـرتها أنها كانت رضى الله عنها تـصاحب أباها الحسن الأنور رضى الله عنه إلى المسجد النـبوى للصلاة وبعد أن يفرغ المصلون كـانت تجلس مع أبيها فى الروضة الشريفة لتسمع دروس الفـقه والعلم فتنهل من فيض العلماء وحين ترجع إلى بيتها تجد أهلها مشغولين بعبادة الله وتلاوة القرآن .

فإذا دخلت مـجلس أبيها وجـدت المجلس حافلا بالناس يسـتمعون إلى أبيـها ويتلقون على يديه علوم القرآن والسنة وكان المجلس حافلا بالأدباء والشعراء فتكونت لديها أسبـاب العالمة الفقيـهة الأدبية ذات الحس المرهف والعواطف النبـيلة ويذكر أنها حضرت مجلس علم الإمام مالك بن أنس إمام دار الهـجرة وحفظت كتابه الموطأ فقد كانت ذات هـمة عاليـة وعزيمة صـادقة فى طلب العلم فكانـت منذ نعومة أظـفارها وحداثة سنهـا تجتهد فى العـبادة وفى طلب العلم حتى صـارت تعرف بنفيـسة العلم لذلك رغب فى الزواج منها شـباب المدينة ولا سيـما شباب أهل البـيت الكرام وكان أشدهم رغبـة فى الزواج منها ابن عمهـا إسحق بن جعفر الصـادق سليل أهل البيت وكان يلقب بإسـحق المؤتمن لكثرة أمانته وقـوة إيمانه وكان من أكثر شبـاب أهل البيت علمًا وعملا ومن أجلهم دينًا وورعا فهو ابن جعـفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسن بن على كرم الله وجهه ورضى الله عنهم أجمعين .

ولما تقدم لخطبتها من أبيها شباب المدينة كان يرجئ الأمر ويقول لهم إنى أريد أن أغرس الوردة فى بستانها وأرد القطرة إلى بحرها وأرد الأمانة إلى أهلها وكان الناس يقولون : لابد أن فى الأمر شيئا لا ندركه ، وتقدم ابن عمها إسحق المؤتمن لخطبتها وكان متهيبًا للموقف وخائفا من أن يرفضه عمه ولكنه استجمع عزمه وهمته واستنهض شجاعته واستحضر ما كان يعلمه عن نفسه من الحسب والنسب الشريف والعلم ولمكانته التى سيكون لها وزن عند عمه . فاستخار الله وتقدم إلى عمه ومعه أشراف العلويين وكبار أهل البيت فرحب بهم عمه فلما فاتحوا أباها الحسن رضى الله عنه فى رغبة إسحق الزواج من نفيسة ٠فهالهم ماسمعوا من رفض أبيها فغضبوا وكان أشدهم غضبا إسحق فعادوا إلى بيوتهم إلا إسحق توجه إلى الروضة الشريفة ووقف فى محراب جده المصطفى ﷺ وأخذ يصلى ويبكى ووقف عند القبر الشريف وقال: السلام عليك يا رسول الله السلام عليك ياسيد المرسلين ويا حبيب رب العالمين إنى أبثك لوعتى وأشكو إليك حاجتى وأعرض عليك حالتى فطالما استغاث بك الملهوفون واستنجد بك المكروبون . قد خطبت نفيسة ابنة عمى الحسن فأباها على . . ثم حيا جده مرة ثانية تحية ملأها بالإجلال والإعظام ثم انصرف إلى بيته محزون القلب فلما كان الصباح بعث إليه عمه الحسن الأنور فاستبشر خيرًا وذهب إلى دار عمه ومعه جماعة من بنى هاشم فلما استقر بهم المجلس قال لهم لقد رأيت الليلة جدى المصطفى ﷺ فى أحسن صورة وفى أجمل بهاء . فسلم على وقال لى ، ياحسن زوج نفيسة ابنتك من إسحق المؤتمن فما كاد القوم يسمعون هذه البشرى حتى تهللوا فرحا وملأ المجلس الأنس والبهجة وتم الزواج فى يوم الجمعة الأول من شهر رجب سنة إحدى وستين ومائة للهجرة حيث التقت فى هذا الزواج الكريم ذرية النبى ﷺ وهنا يقول القائل :

نسب يسابق فى السماء نجومها ... ويزاحم الأقمار والجوزاء
بات الحسن بنوره مستبشرا ... وأخو الحسين يكرم الزهراء
فلتهنأ الدنيا بأن نفيسة ... وقرينها يهبوننا الأبناء

وقد أثمر هذا الزواج بنتا وولدا دفنا فى مصر قريبا من مسجد السيدة نفيسة هما القاسم وأم كلثوم .

وظلت السيدة نفيسة فرحة مسرورة بهذا الزواج السعيد الذى جمع فرعى الحسين والحسن رضى الله عنهما فقد كان إسحق شابا صالحا وورعا وعالما فقيها روى كثيراً من الأحاديث الصحاح فالتقى مع السيدة نفيسة فى كثير من صفاته واشتركا معا فى عبادة الله وتعاونا على طاعته وتبادلا حب العلم والفقه .

وقد صحبت زوجها فى السفر إلى مكة المكرمة حيث تجاور البيت الحرام الذى طالما اشتاقت نفسها إليه وقبل أن تفارق المدينة ذخلت مسجد النبى ﷺ فى الروضة وجلست فى الحجرة النبوية لتودع جدها المصطفى ﷺ.

فوقفت تناجى جدها المصطفى وتقول السلام عليكم يا جدى العظيم ويارسول الله إلى الناس أجمعينْ السلام عليكم يا رحمة للعالمين السلام عليك يا صاحب القرآن ويامكسر الأصنام ومحطم الأوثان .

السلام عليك يا حبيب الرحمن وياشفيعا إلى الملك الديان السلام عليك يا صاحب المعراج وياساكن الغار وياصاحب لواء الحمد وياساقينا على الحوض يوم العرض على رب العالمين .

السلام عليك يا هادى العباد وناشر الرشاد ومعمر البلاد ومرشد الناس إلى خير زاد ياسفينة المقربين يوم المعاد . السلام عليك يا صاحب كل صفة جميلة ويا دليل كل مكرمة رشيدة ويا مصدر كل علم نافع ويامفتاح كل توفيق سديد السلام عليك من حفيدتك الراحلة عنك وهى شغوفة بحبك متيمة بقربك مغرمة بجوارك متمسكة بكتابك متعلقة بحبالك محافظة على جميع سننك وآدابك إلى أن تشاهدك وتراك يوم البعث وساعة الحشر والنشور .

وكانت هذه مناجاة السيدة الطاهرة يوم أن فارقت المدينة متوجهة مع زوجها للإقامة بمكة المكرمة .

ولما وصلت مع زوجها إلى مكة المكرمة لتقيم فيها جاءت الوفود تهنئها بالقدوم الميمون ثم أقبلت على بيتها الجديد تدبر شئونه ولم يشغلها العمل فى بيتها عن العبادة التى هى أحب شىء إلى قلبها وروحها ولم يمنعها حق الزوجية من الصيام وتلاوة القرآن وصلاة الليل وزيارة المسجد الحرام ومع هذا فقد كانت روحها تهفو إلى زيارة قبر سيدنا إبراهيم عليه السلام فى بيت المقدس فكلمت زوجها فى هذا الأمر ولما رآها تبكى من فرط حبها وشوقها لذلك استجاب لرغبتها فذهبت وزارت قبر أبى الأنبياء عليه السلام ووقفت هناك تسأل الله تعالى أن يغمرها ببركات الخليل ونفحاته ثم جلست فى الرحاب الطاهرة تتلو قرآن الله فهدأت مشاعرها الفياضة وأخذتها سنة من النوم فما كاد النوم يداعب أجفانها حتى رأت سيدنا إبراهيم عليه السلام يرحب بها ويحييها ويبشرها بعلو مقامها وعظم مكانتها عند الله ويقول لها :

«يابنيتى أبشرى فإنك عند الله من الصالحين القانتين وإنك بحمد الله موفقة إلى كل قربى تدنى قلبك الطاهر من رضوان الله فأكثرى من تلاوة كتابه وضاعفى قراءة سورة المزمل تنالى عند الله أعظم الحسنات وتظفرى عنده بأعلى الدرجات، وتفوزى لديه بالمقام المحمود . [1]

فاستيقظت من نومها وكانت تتمنى أن يطول هذا اللقاء وودعت الخليل عليه السلام أملا فى العودة إلى هذه الرحاب الطاهرة ودعته وهى تفكر فى وصيته عليه السلام وتقول: لماذا سورة المزمل بالذات هل لأنها تحض على قيام الليل لما فيه من أجر عظيم ونور يملأ القلب ؟ أم لأن هذه السورة تأمر بقراءة ما تيسر من القرآن ؟ أم

---

(١) السيدة نفيسة أحمد الشهاوى

لأنها تأمر بالصبر الجميل؟ أم لأنها تذكر بيوم القيامة وما فيها من خطوب وأهوال؟ فربما كانت وصية تعنى ذلك كله وإن كان قيام الليل أقرب إلى فطرة السيدة الطاهرة التى كانت تحب أن تخلو بالحبيب فى سكون الليل والناس نيام فكانت تقوم من الليل معظمه وتصبح صائمة وتناجى ربها ودموعها تجرى على خديها وتنشد :

ياحبيب القلوب أنت الحبيب ... أنت أنسى وأنت منى قريب

ياطبيبا بذكره يتداوى ... كل ذى سقم فنعم الطبيب

طلعت شمس من أحب بليل ... واستنارت فما تلاها غروب

وإذا ما الظلام أسبل سترا ... فإلى ربها تحن القلوب

وبعد ذلك عادت إلى مكة وهذه المرة لم يطل بها المقام فتحولت إلى المدينة وأقامت بها ثلاثين عاما حجت فيها ثلاثين حجة ماشية على قدميها فى أكثر السنين وكانوا إذا قدموا إليها الدواب لتركب ترفض وتقول فى إصرار كان جدى الحسن يذهب إلى حج بيت الله ماشيا وعنده الخيل المطهمة والنياق النجيبة رغبة منه فى الأجر وحرصا منه على رضوان الله تعالى .

غير أن الوشاة لم يتركوا الحسن الأنور فأوقعوا بينه وبين الخليفة المنصور حتى أمر الخليفة بعزل الإمام الحسن ولم يكتف بذلك بل أمر بإدخاله السجن ثم أطلق يده فى العلويين وسائر أهل البيت فشتت شملهم وفرق جمعهم. وبعد أن توفى المنصور جاء بعده ابنه المهتدى فنظر فى مظلمة أهل البيت بعين الحكمة والعدل فتبين له الحق والصواب فأطلق سراحهم ورد إليهم اعتبارهم وأعاد إليهم أموالهم واعتذر للإمام الحسن الأنور ورغب فى أن يوليه إمارة المدينة مرة أخرى ولكن سيدنا الحسن رفض فى شمم وإباء وقال: والله لقد مللت الحكم وكرهت السلطان فقبل الخليفة منه اعتذاره ثم اتجه الحسن إلى العبادة وتفرغ لها وللعلم مؤثرا ذلك على الإمارة والولاية وفضلها على الجاه والسلطان .

وذكر المناوى أن السيدة نفيسه قدمت إلى مصر وقد سبقتها بنت عمها السيدة سكينة التى كان لها الشهرة الواسعة فهى بنت الإمام الحسين السبط فخلعت عليها السيدة سكينة الشهرة فى العلم فقد فاقت كل نساء عصرها فى مصر علما وحكمة وفقهًا فكانت تلقب بنفيسة العلم وصار لها القبول التام بين الخاص والعام .

وقد ذكر الإمام الشّعرانى أنه لما قدمت السيدة نفيسة إلى مصر كانت السيدة سكينة ابنة عمها تقيم بمصر قبلها فخلعت عليها الشهرة ثم اختفت بموتها ودفنت قريبا من دار الخلافة وقتذاك . وهذه الأقوال قد لا تكون من الناحية التاريخية صحيحة إلا أن السيدة سكينة عاشت فى مصر وتوفيت بها قبل مقدم السيدة نفيسة .

وقد عاشت السيدة نفيسة فى ضيافة أهل مصر المشهورين بحب أهل البيت وبمودتهم حبًا فى رسول الله ﷺ مدة خمسة عشر عاما إلا عشرة أيام من ست وعشرين من رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائة إلى نصف رمضان سنة ثمان ومائتين هجرية قامت على خدمتها فيها السيدة زينب ابنة أخيها يحيى المتوج ورافقتها طيلة أربعين عامًا .

السيدة نفيسة العابدة :

رأينا أنها منذ نعومة أظفارها كانت تحب القرآن وتداوم على تلاوته وكيف لا ووالدها الحسن كان عالمًا جليلا وإمامًا ورعًا وكبيراً لأهل البيت. وقد تعلمت السيدة نفيسة القراءة والكتابة قبل أن تبلغ السابعة من عمرها وقد سهل لها ذلك أمر حفظ القرآن وتجويده .

وتحكى لنا السيدة زينب ابنة أخيها يحيى المتوج طرفًا من حياة عمتها فتقول : «خدمت عمتى نفيسة أربعين سنة ما رأيتها نامت الليل ولا فطرت بنهار إلا قليلا

وكنت أقول لها: ألا ترفقين بنفسك؟ فكانت تقول: كيف أرفق بنفسى وأمامى عقبات لايقطعها إلا المجاهدون». وكان يتردد على مجلسها فى دارها أئمة الفقة وعلى رأسهم الإمام الشافعى رضى الله عنهم جميعًا وكان كثيرًا ما يطلب منها أن تدعو له بالشفاء حين يعاوده المرض وقد قرأ عليها الحديث واستمع إليها كما كان يصلى بها التراويح وحين حضرته الوفاة أرسل إليها يلتمس منها أن تدعو له كعادتها فقالت لرسوله : **«أحسن الله لقاءه ومتعه بالنظر إلى وجهه الكريم»** وحين سمع هذا الكلام أيقن أنه مرض الموت وأوصى أن تصلى عليه وقد مر نعشه ببيتها حسب وصيته وبأمر السرى بن الحكم وكطلب السيدة نفسها لضعفها عن الحركة . . وقيل إنه عقب الصلاة عليه حيث صلت عليه فى دارها مأمومة بصاحبه ابن يعقوب البويطى سمع صوتا يقول : **«اللهم اغفر لمن صلى على الشافعى . واغفرللشافعى بصلاة السيدة نفيسة وقد ترحمت عليه فقالت رحم الله الشافعى كان رجلا يحسن الوضوء »**.

كما كان يزورها ويسألها الدعاء ويلتمس بركاتها الإمام عثمان بن سعيد المصرى وكذلك الشيخ أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم ذو النون المصرى من كبار الصوفية فى مصر ومن كلامه «إياك أن تكون للمعرفة مدعيا أو بالزهد محترفا أو بالعبادة متملقا وفر من كل شيء إلى ربك». وكان يقول للعلماء أدركنا الناس وأحدهم كلما ازداد علما ازداد فى الدنيا زهدا وبغضا، وأنتم اليوم كلما ازداد أحدكم علما ازداد فى الدنيا حبا وطلبا ومزاحمة وأدركناهم وهم ينفقون الأموال فى تحصيل العلم وأنتم اليوم تنفقون العلم فى تحصيل المال. وكان يقول كل مدع محجوب بدعواه عن شهود الحق لأن الحق شاهد لأهل الحق بأن الله تعالى هو الحق وقوله الحق ومن كان الحق تعالى شاهدا له لايحتاج مدعيا فالدعوى علامة على الحجاب عن الحق والسلام .

كما كان يقول : لكل شيء علامة وعـلامة طرد العارف عن حضرة الله تعالى انقطاعه عن ذكر الله عز وجل .

ومن أقواله قد غلب على العباد والنساك والقراء فى هذا الزمن التهاون بالذنوب حتى غرقوا فى شـهوة بطونهم وفروجهم وحجبوا عن شهـود عيونهم فهلكوا وهم لا يشعرون، رضوا من العمل بالعلم به يستـحى أحدهم أن يقول فيما لا يعلم لا أعلم. منهم عبيد الدنيا لا علماء الشريعة إذ لو علموا بالشريعة لمنعتهم من القبائح. إن سألوا ألحوا وإن سئلوا شحوا . اتخذوا العلم شبكة يصطادون الدنيا فإياكم ومجالسهم .

ولقد ظل ذو النون المصرى يزورها فى حـياتها ويزور قبرها بعـد موتها إلى أن توفى رضى الله عنه سنة خمس وأربعين ومائتين للهجرة . وكـذلك الفقية الإمام عبد الله بن عبد الحكم الذى أفضت إليه رياسة المالكية وكان صديقًا للإمام الشافعى وروى الكثير عن الإمام الشافعى وكتب كتـبه بنفسه وله مؤلفات عديدة . كان لا ينقطع عن زيارة السيدة نفيسة فى حياتها ولا عن زيارة قبرها بعد موتها وقد سمع عليها الحديث وانتفع كثيرا بآثارها وفقهها وعلمها .

وكذلك حضر مجلسها وانتفع بعلمهـا الفقية المالكى سحنون بن سعيد كان من حمص وحضر إلى مصـر فاستمع إلى شهرة السيدة كريمة الداريـن نفيسة فلزم مجلس علمها وعرف حق زيارة قبرها .

ولم تكن السيدة نفيـسة قد التقت بالإمام أحمد بن حنـبل ولو أنها سمعت عنه عالما جليـلا انفرد بمذهب فى الفقة الإسـلامى وكذلك الإمام أحمـد لم يكن قد رأى كريمة الدارين من قبـل ولو أنه لا شك قد سمع بصلاحهـا وألم بمظاهر تقواها ولكن حدث آن بشـر بن الحارث وكان من العلمـاء الذين يترددون على دار السـيدة نفيـسة ويعقدون معـها مجالس العلم قد انقطع عن زيارتها لمرضـه فلما علمت بمرضة ذهبت

تعوده فى داره وهناك وجدت الإمام أحمد بن حنبل فسأل الإمام أحمد صاحب الدار عمن تكون هذه السيدة فلما قال له إنها السيدة نفيسة فقام وأحسن تحيتها وطلب من بشر أن يسألها أن تدعو له ولبشر كذلك وهذا يدل على علمه بمقامها الروحى العظيم وبدعائها المستجاب وما كان للسيدة أن تخيب رجاء أحد يسألها الدعاء من عامة قاصديها فدعت لهما وقالت «**اللهم إن بشر بن الحارث وأحمد بن حنبل يستجيران بك من النار فأجرهما يا أرحم الراحمين**» . فهذا الدعاء ليس هناك أفضل منه فالنجاة من النار غاية كل مؤمن بل هو الغاية العظمى . ومن فقة السيدة نفيسه أنها بعد أن دعت لهما سألتهما أن يدعوا لها فكان كما طلبت .

وهكذا كان مجلس علم السيدة نفيسة عامرا بأكابر العلماء الذين عرفوا مقامها وبعد أن رحلت عن عالم الأحياء وصعدت روحها الطاهرة إلى رب كريم لم ينقطع هؤلاء العلماء عن زيارة قبرها ولايزال المحبون لأهل البيت وعامة المسلمين يذهبون إلى قبرها يعتقدون أنه مكان طاهر تحفه الملائكة ويستجيب الله لهم فيه الدعاء كما يعلمون أن زيارة قبرها فيه أداء لواجب المودة مودة أهل بيت النبى ﷺ وهل يرجع منه أحد غير مجبور الخاطر حيث تتنزل الرحمات فى الأماكن الطاهرة حول قبور الصالحين .

ومما يرفع الحرج لدى البعض ممن يفهمون خطأ أن زيارة القبور غير مرغوب فيها نقول إن المرفوض فقط هو ما يقوله أو يفعله بعض العوام ولوأنهم وجهوا إلى الصواب ما حدث ما يرفضه هؤلاء وتصحيح الخطأ أحق من احتناب الصواب والزيارة بقصد صلة رحم رسول الله ﷺ ومودة أهل البيت والاتعاظ والاعتبار والتأسى بالصالحين فذلك مطلوب شرعا ولذلك فإن العلماء والصوفية كانوا أكثر الناس وفودا على قبور الصالحين وكان كثيرون منهم يبدأون بزيارة قبر السيدة نفيسة .

ولقد كانت رضى اللّه عنها حكيمة صاحبة مشورة ورأى صائب فقد توجه إليها عدد من المصريين يشكون إليـها الأمير الظالم المستـبد يقال إنه (**الخصيب بن عمرو**) تولى الحكم بعد السـرى بن الحكم فلما تظلمـوا من حكمه الجائر اسـتغاثوا بالسـيدة نفيـسة التى لها الكلمـة المسموعـة وكلموها فى ظلم الحاكم فـوعدتهم خيـرا وقامت فكتبت بنفسها رسالة إلى الحاكم جاء فيها

بسم الله الرحمن الرحيم

من أمة الله نفـيسة بنت الحسن إلـى الخصيب بن عمـرو أمير مصـر سلام الله عليك وبعد

فإن من حق الحـاكم على الرعيـة أن تقومه إذا اعـوج عن الحق وأن ترشده إذا غفل عن الصواب وقد مـلكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخلوتم فـفجرتم وردت إليكم الأرزاق فنعمتم ولم تعلموا .أن سهام الليل نافـذة لاسيما عن قلوب أوغرتموها (تشير إلى هذين البيتين، وأن الدعاء هو السهام التى لابد تصيب الظالم

أتهـــزأ بالـدعـــاء وتـزدريه ۔۔۔ ومـــا يدريك مـــا صنع الدعـــاء

ســهـام الليـل لا تخطـى ولكن ۔۔۔ لهـــا أمـــدٌ وللأمـــد انقـــضـــاء

ومحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم، فاعملوا ما شئتم فإنا صابرون وجوروا فإنا بالله مستغيثون واظلموا فإنا إلى الله متظلمون (**وسيعلم الذين ظلموا أىَّ مُنقلبٍ ينقلبون**)

فهذه بلاغة علوية لها عمل السحر فى القلوب فلم يكد الأمير يقرأ هذه الرسالة حتى وقع فى قلبة الخوف من اللّه فعاد عن ظلمه واعتدل فى حكمه .

كـــرامات السيدة نفيسة :

قيل إن فى مصر سبعة أولياء لهم كـرامات منهم السيدة نفيسة رضى الله عنها والسيـد البدوى والإمـام الشافـعى. وقد أظهـر الله على أيديهم الكرامـات وخوارق العادات. فـمن توجه إلى الله تعـالى طالبًا قضـاء حاجتـه معتـقدًا أن الله سـيكرمه بالإجابة إكرامًا منه سبحانه وتعـالى لولى يعتقد أن هذا الولى قريب من الله تعالى - سواء أكـان الولى حيًا أو متـوفى فلا فرق لأنه فى الحـالتين الله سبحـانه وتعالى هو المستجيب «**وقال ربكم ادعونى استجبْ لكم**».

والكرامة وقعت للسيدة مريم الصديقة ولكثيرين من عباد الله الصالحين وأوليائه المكرمين. وإذا جاز ظـهور الكرامة لبـعض أولياء الله جـاز ظهورها على غـيرهم . وأولياء الله مـوجودون فى كل عـصر أكرمـهم الله تعالى بما يؤيد ولايتـهم بكرامات يجريهـا سبحانه عـلى أيديهم. وإن كان ليس من شروط الولى أن تكون له كـرامات وإنما قـد تجرى على أيدى البـعض منهم من غيـر طلب لما صدقـوا الله تعالى علـيه وإلزامهم أنفسهـم الإيمان الصادق وتقوى الله والتقرب إليه طوال حـياتهم . أما بعد وفاتهم فالكرامات مـرجعها إلى أنه إذا زار إنسان قبر ولى من أوليـاء الله واستقر فى يقينه أنه يقف فى مكان طاهر واستولى عليه الخشوع التام لله رب العالمين الذى يعطى من يشاء «ومـا كان عطاء ربك محظوراً ».. وامـتلأ قلبـه بالإخلاص لله وحب ولى الله فـإن هذا الدعـاء الخاص لوجـه الله فى هذا المكان الطاهر مـع الإيقان بالإجـابة وخاصة إذا اعتقد أن روح الولى تسأل معه الله تعالى إجابة الطلب إكراما للولى الذى له فضل عند ربه. كل هذا وبسببه قد يحقق الله تعالى الطلب وتتحقق الكرامه يفضل الدعاء الخالص فى هذا المكان الطاهر .

وزيارة القبور بوجه عام تكون بغـرض الموعظة بالأموات والترحم عليهم . وأن الزائر سيصير إلـى ما صاروا إليه فيدعو الله أن يغفر لـه إذا ما صار إلى مثواه. وهذا

أيضا يتحقق فى زيارة قبور أولياء الله إلا أنه قد يستقر فى يقين الزائر الرغبة فى التبرك بالصالحين من أولياء الله والرغبة فى التأسى بهم فى عبادتهم وإخلاصهم لله والسير على منوالهم فقد يناله من الله بعض ما أفاض به تعالى على هؤلاء الأولياء. غير أن هناك من لايجيز مثل هذه الزيارة توهما منه أن الزائر يعتقد فى عطاء المزور مع أن العاطى هو الله سبحانه وتعالى : والحقيقة أننا لانرى مسلمًا مهما تدنى مستواه الفكرى يعتقد أن لله شريكًا من خلقه ومهما استقر فى ذهنه أن المزور له منزلة عالية عند ربه . فالزائر المسلم بكل مستوياته يدخل المسجد ليصلي ويسجد لله وحده ثم يؤدى بعد ذلك واجب زيارة الولى وما سمعنا أن زائرًا لقبر ولى قصد بصلاته وسجوده وجه هذا الولى إنما نية الصلاة لله سبحانه وتعالى وحده . لذلك فليطمئن المترددون لزيارة السيدة نفيسة ومسجدها ماداموا يرعون أصول الزيارة وقواعدها الشرعية.

ولمكانة السيدة نفيسة فى قلوب الزائرين جعلوا لزيارة قبرها آدابًا وقواعد يتعين أن يلتزم بها الزائرون. فقالوا وجب على من يزور قبر السيدة نفيسة أن يبدأ أولا بصلاة ركعتين لله تعالى تحية لمسجدها ثم يتجه ثانيا إلى ضريحها فى خشوع وسكينة. . قال أبو موسى من الصالحين «دخلت إلى ضريحها فوضعت يدى على الضريح فسمعت قائلا يقول: «أهكذا تدخل على بيت أهل النبوة» كما يجب أن يقول الزائر عند دخوله من باب الضريح: «**رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميدٌ مجيدٌ**». اللهم إنك ندبتنى إلى أمر قد فهمته واعتقدته وجعلته أجرًا لنبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى هديتنا به إليك، ودللتنا به عليك . فكان كما قلت (**وكان بالمؤمنين رحيمًا**) حبيبًا إليه ما هديتنا، عزيزًا عليه ما عنتنا . وتلك الفريضة التى سألتها له وهى المودة فى القربى. اللهم إنى مؤديها، مريدا النفع بها فى دينى ودنياى، متوسلا إليك بها يوم انقطاع الأسباب . اللهم زدهم شرفًا وتعظيمًا وهب لى بزيارتهم مغفرة وأجرًا عظيمًا. السلام عليكم يابنى المصطفى ، يا بنى فاطمة الزهراء

السلام عليك يا نفيسة العلم ، يا كريمة الدارين وجناح الرحمة . السلام على آل بيت رسول الله ﷺ أجمعين . اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد وعلى أزواج سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليما كثيراً . اللهم بلغنى ما أملت ، وما رجوت ، وأعد علىَّ وعلى المسلمين من بركاتهم ونفحاتهم يارب العالمين . وسلام على عباده الذين اصطفَى والحمد لله رب العالمين .

وعلى الزائر أن ينهى زيارته دون أن يعطى ظهره للضريح .

وكرامات السيدة نفيسة كثيرة ومن أراد أن يتعرف عليها فليرجع إلى ما جمعه فضيلة الشيخ محمد عبد الخالق سعد فى كتابه «**الجواهر النفيسة فى مناقب السيدة نفيسة**» . ونروى هنا من هذه الكرامات أنه كان بجهة دارها يهودى يدعى أبو السرايا أيوب بن صابر له إبنة مقعدة تركتها أمها يوما عند السيدة نفيسة بعد أن استأذنتها حتى تعود من الحمام . ولما حان وقت صلاة الظهر قامت السيدة نفيسة لتتوضأ للصلاة فجرى ماء الوضوء إلى الابنة المقعدة ، فمسحت أعضاءها بالماء فشفيت من مرضها فى الحال وعادت أمها فوجدتها تمشى وتتحرك . ولم تدرك السيدة نفيسة ما حدث فقد كانت مشغولة بالصلاة. فلما قصت البنت على أمها ما حدث بكت الأم من شدة الفرح وتوجهت إلى السيدة نفيسة وأسلمت ثم فعل كذلك أبو البنت وكان من الأثرياء . ولما شاع الخبر أسلم كثير من اليهود بسبب هذه الكرامة . ثم انتقلت السيدة نفيسة إلى «دار أبى السرايا» أيوب بحى الحسينية وظلت تصلى وتعبد الله فى حجرة فى هذه الدار وظلت هذه الحجرة باقية لفترة طويلة . وقد ذكرت هذه الكرامة فى خطط المقريزى .

ومن كرامات السيدة نفيسة ما رواه سعيد بن الحسن قال: توقف النيل فى زمن السيدة نفيسة فجاء الناس إليها فسألوها الدعاء فأعطتهم قناعها فجاءوا به إلى البحر

وطرحوه فيه فما رجعوا حتى وفى البحر وزاد زيادة كبيرة عقب ذلك بمدة يسيرة.

وليس بمستغرب هذه الكرامات على السيدة الطاهرة التى أيدها بها اللّه سبحانه وتعالى وإن كانت الكرامة الكبرى تتمثل فى السيرة العطرة والمناقب الكريمة التى تحيط بالسيدة نفيسة والمتمثلة فى الإحساس الطيب الذى يملأ وجدان الزائر لضريحها فينشرح صدره كما أجمع على ذلك رواد مسجد السيدة نفيسة وزوار ضريحها حيث يشعر الزائر بعطر فواح وأنس وفيوضات ربانية تذهب هواجس نفسه وتزيل ما بها من خواطر وأحزان . فإذا دعا الزائر ربه فى هذه الرحاب الطاهرة فليس بمستغرب أن يحظى بالإجابة بإذن الله تعالى إكراما منه لأوليائه الصالحين .

وقد كان الإمام الشافعى - رحمه اللّه - يثق فى كراماتها . فكان كلما عاوده المرض يرسل إلى السيدة نفيسة يطلب منها أن تدعو له بالشفاء فيتم له الشفاء بإذن اللّه تعالى . وفى مرضه الذى توفى فيه بعث إليها لتدعو له فقالت «أحسن اللّه لقاءه» وفى رواية أخرى قالت : «**متعه اللّه بالنظر إلى وجهه الكريم**» . ففهم الشافعى من هذا الدعاء أن أجله اقترب . فأوصى بأن تصلى السيدة نفيسة عليه وقد نفذت رضى اللّه عنها وصيته . فانتظرت حتى صلى عليه الناس فدخلت المسجد وصلت عليه . وقيل إنه حُمل إلى منزلها فصلت عليه رضى اللّه عنهما .

وليس عزيزا على اللّه تعالى أن يكرم أولياءه فى دنياهم بكرامات وأن تتجلى لهم كرامات أخرى وهم فى البرزخ فى أرواحهم الطاهرة .

ومن الكرامات ما تكون بالإلهام كما أن منها ما يكون بالرؤى المنامية وقد ذكر الإمام ابن حجر رضى اللّه عنه نحوا من مائة وخمسين كرامة للسيدة نفيسة كفيوضات ربانية عليها فى حياتها وبعد موتها ومنها :

- قال عبد الرحمن الأوزاعى إمام الشام وفقيهها وعالمها المتوفى سنة ١٥٨

للهجرة : قلت لجوهرة إحدى إماء والدها ،هل رأيت من سيدتك الصغيرة نفيسة كرامة . قالت : نعم كنت فى يوم شديد الحر فإذا تنين **(ثعبان)** قد جاء وكان معى ماء لسيدتى نفيسة . فصار هذا الثعبان يمرغ جلده على الإبريق كأنه يتمسح به تبركًا بمائها ثم ذهب من حيث أتى.

- وقال الشيخ محمد على خلف الحسينى إن جارًا له كف بصره وعانى ما عاناه وصرف الكثير فى سبيل الشفاء ، فعجزت عن شفائه الأطباء . فذهب يومًا لزيارة المشهد النفيسى . وجلس بعد الزيارة قليلا، فأخذته سنة من النوم . فرأى كأن السيدة نفيسة قد دخلت عليه ووضعت شيئًا فى عينيه . فقام من نومه وقد رجع إليه بصره وزاد ضياؤه . فظل يداوم على زيارتها ويحدث الناس بهذه الكرامة .

- روى ابن إياس أنه كان لأحد المصريين المقيمين بجوار مسجد السيدة نفيسة ابنه صغيرة ذات سبع سنوات . وكانت الابنة تضع على رأسها عصبة محلاة بالذهب الخالص . وكانت تلعب مع أقرانها الصغار . فجاء صبى أمرد وتحايل على البنت حتى أخذها إلى خلف المسجد بحجة أن أمها تنتظرها هناك وأخذ منها العصبة الذهبية. ولما خاف أن ينكشف أمره حاول قتلها بسكين وطعنها بالفعل وألقاها في فسقية كانت خلف المسجد وهرب ظنًا منه أنها ذبحت وتركها تتخبط فى دمائها . وفى المساء كثر التفتيش عنها دون جدوى . ثم ذهب أبوها إلى السوق وأوصى تجار الذهب أن يترقبوا من يعرض عليهم عصبة ذهبية . فإذا بالصبى الأمرد يحضر فى الصباح إلى الصاغة ويعرض العصبة على تجارها . فعرفوه وقبضوا عليه . وتوجه أبوها إلى باب الأمير . فلما عرضوه على الوالى ضربه وعذبه حتى أقر بأنه ذبح الصبية وألقاها فى الفسقية خلف مسجد السيدة نفيسة بعد أن نزع عنها العصبة . فقالوا له أمض معنا إلى المكان . فذهب معهم مكبلا بالحديد فوجدوا الصبية مشرفة على الهلاك والدم يسيل من جسدها وفيها بعض رمق الحياة فحملها أبوها وأنقذها . وبعد أن استردت البنت بعض صحتها سألها الأمير من فعل بك ذلك . فوصفت

الغلام وتعرفت عليه. ثم ذكرت أنه بعد أن تركها الغلام فى الفسقية ، دخلت عليها امرأة على وجهها قناع وقالت لها : لا تخافى، إنى نفيسة ، وغدا تخلصين من هذا المكان . ثم مسحت الدم عن رقبتى فانقطع فى الحال.

وهذه الواقعة انتشرت على ألسنة الناس زمنًا طويلا ، كما انتشرت فى مصر للسيدة نفيسة كرامات أخرى كثيرة فى حياتها رضى اللّه عنها وبعد مماتها. وصدق القائل الذى نسب إليها الكرامات مثلما تم للسيدة مريم من قبل فقال:

وحبا الإله نفيسة بكرامة خُصت بها من قيل ذلك مريم
فيض من اللّه الغنى ونفحة فتبارك اللّه الكريم المنعم
واللّه يرزق من يشاء بفضله واللّه يرفع من يحب ويكرم

وإن سعى العلماء إلى مجلسها ليستزيدوا منها علمًا ومعرفة لهو كرامة من اللّه لها . فها هو ذا الإمام الشافعى رضى اللّه عنه يسعى إلى مجلسها وقد ربط اللّه بينه وبينها برباط خدمة العقيدة ونشر العلم الشرعى. فجمع بينهما هدف مشترك هو تنوير القلوب . . وقد اعتاد الشافعى أن يزورها فى بيتها وهو فى طريقة إلى حلقات الدرس التى كان يعقدها فى مسجد الفسطاط وكان يفعل مثله عند عودته من مجلسه إلى داره . وكان من عادته إذا ذهب لزيارتها صحبه بعض أصحابه وكان يسألها دائما فى أمور الفقة والحديث مع علو قدره وسعة علمه. وكان دائما يسألها الدعاء له ملتمسا بركاتها معتقدا أنها مستجابة الدعاء .

ولما توفى رضى اللّه عنه وجاء ذكره أمامها قالت مترحمة عليه : «كان الإمام الشافعى صبوراً بكل ما للصبر من معنى . يتلقى الشدائد بقلب ثابت. ويسعى هادئًا ليزيل ما ألم به معتمداً على اللّه حق الاعتماد ، ومتوكلا عليه حق التوكل ، شاكراً ربه على ما ابتلى به، ضارعًا أن يكشف عنه الضر، ومستبشراً بأجر عند اللّه على ما تحمل من ألم . ويظل دون أدنى ضجر حتى يزيل اللّه عنه مابه ويصلى للّه شاكراً .

فهو عند الابتــلاء صابر وعند دفع الضــر من الشاكرين .

الكرامه قـد تكون بالإلهام كـما تكون بالرؤى المنامـية. ومن كرامـات الإلهام الذى كلم الطفل فى المهد حـين قال للطفل: ياغلام من أبوك حـتى يطلب البراءة من تهمـة الزنا. فقال الغـلام : فلان الراعى . فأنطق اللّه الطفل الـوليد على يد الرجل الصالح ليبرئه.

ومن ذلك ماصح عن عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه قال: «ياسارية الجبل» فى حال خطبته يـوم الجمعة فبلغ صوته إلى سـارية قائد جيش المسلمين فى نفس الوقت الذى نادى فيه عمر فتحذر سـارية من العدو فى الجبل . فكان لعمر فى هذا كرامتان إحداهـما أن اللّه كـشف له حال سـارية وأصحـابه وعن مكانهم وحال العـدو الذى يحاول مداهمتهم . والثانية بلوغ صوته إلى سارية وهو فى بلاد بعيدة .

ومن ذلك الحديث المتـفق عليه فى سعـيد بن زيد بن عمـرو بن نفيل وهو من العشرة المبشـرين بالجنة الذى قال فيه للتى ادعت عليه ظلمًا أنه أخذ شـيئًا من أرضها فقال: اللهم إن كانت كاذبة فاعم بصرها واقتلهـا في أرضها فى حفرة فماتت مكفوفة مقتولة (**أخرجاه فى الصحيحين**).

ووقوع الكرامات نقلا جاء فـى القرآن الكريم والسنة والآثار المسندة . ومنها ما أخبر اللّه تعالى من العجائب التى وقعت على يدى الخضر ومعه سيدنا موسى عليهما السلام . وقـصة ذى القرنين وقصـة أهل الكهف الذين فروا بدينهم خـوفا من بطش الظلمة . ومن ذلك حديث البقـرة التى حمل عليها صاحبها أو ركـبها على اختلاف الرواية فالتفتت إليه وكلمته وقالت: إنى لم أخلق لهذا ولكنى خلقت للحرث. فسمع الناس صوتها وقالوا: سبحان اللّه - تعجبًا وفزعًا - أبقرة تتكلم؟! . فقال رسول اللّه ﷺ: «فإنى أؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر». وهذا حديث صحيح مشهور مذكور فى الصحيحين ومـتفق على صحته.

وإننا نقول لو لم يكن فى هذا المجال غيـر حديث رسول اللّه ﷺ لكفى دليلا على ثبوتهـا هذا الحديث الصحـيح الذى أورده مسلم «**رب أشعث أغبـر مرفوع بلا ثوب لو أقسم على اللّه لأبره**» .

فالكرامات لاينكرها إلا مكابر . فإن قيل لماذا لم يشتهر عن الصحابة الكرامات الكثيرة مع أنه قد وقـعت لبعضهم ، فالجواب كمـا يرى الإمام أحمد بن حنبل رضى اللّه عنه أن الصحابه لم يرد عنهم من الكرامات مثلما ورد عن الأولياء والصالحين من المتأخرين لأن الصحـابة كان إيمانهم قويًا فما احتاجـوا إلى زيادة شىء بينما غيرهم لم يبلغوا درجتـهم فقواهم اللّه بإظهار الكرامة على أيديهم ، ولأن أصـحاب رسول اللّه ﷺ لبركة صحبـة النبى ولمجاورة نزول الوحى وتردد الملائكة بينهم، تلك أمور نورت بواطن الصحابه فعاينوا الآخرة وزهدوا فى الدنيـا وتزكت نفوسهم فاستغنوا بما أعطوا وبما شاهدوا عن رؤية الكرامة فاتبعوا الرسول ﷺ وأحبوه مصداقا لقوله تعالى «**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**» (١) فأوفر الناس حظًا من فضل اللّه أوفرهم متابعة لرسوله ﷺ .

وإذا قيل إن الكرامات تشبه السحر.

فالجـواب ما قاله العارفـون والعلماء المحقـقون . إن السحـر يظهر على أيدى الفساق والزنادقة وغير الملتزمين بالأحكام الشرعية ؛ وأيضًا يظهر على أيدى الكفار . بينمـا الكرامات تظهـر على أيدى أوليـاء اللّه الذين بلغـوا فى متـابعة القـرآن والسنة وأحكام الشريعة وآدابها الدرجة العليا .

وأخيـرا نذكر من كرامـات السيدة نفـيسة التى ذكـرها صاحب كتـاب الجواهر النفيسة فى منـاقب السيدة نفيسة رضى اللّه عنها الـشيخ محمد عبد الخـالق سعيد أن

(١) سورة آل عمران : الآية ٣٠

المرحوم محمد باشا فوزى وكان ممن يلزم زيارتها فلما كان بأسيوط رئيسا لمجلس الاستئناف سمع وهو فى حالة بين اليقظة والنوم من يقول له. انتقل من هذا البيت فى هذا اليوم حالا. فاستيقظ واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ثم عاد إلى ما كان عليه فسمع نفس الصوت فاستيقظ واستعاذ تعالى به وعاد إلى حاله فرآها تقول له أنا نفيسة بنت الحسن وأعادت ما قالته له فأجابها وامتثل لأمرها وقام وبحث عن بيت غير بيته وانتقل إليه وبعد ما تم نقل ما بالمنزل الأول إذا به كله سقط وتهدم فى ذلك اليوم من غير ضرر له أو لماله. ولقد عرف فضل السيدة نفيسة العلماء والأفراد والعامة فقد ذكر الشيخ مؤلف الكتاب المشار إليه أن كافور الإخشيدى حاكم مصر كان لايدع زيارة السيدة نفيسة فى كل يوم خميس وعندما يرى باب الضريح ينزل ويمشى ويدخل للزيارة ويسأل اللّه تعالى فى ضريحها قضاء حوائجه فتقضى بإذن اللّه تعالى وكان يفى بالنذر ويأتى بالمسك والطيب والشمع والزيت والقناديل ويحسن على خدام المقام والفقراء واستمر على ذلك إلى أن توفى بمصر سنة ست وخمسين وثلثمائة هجرية .

وقد ذكر أن السيدة نفيسة كانت على شىء من معرفة طب العيون يشفى الله تعالى على يديها من يقصدها طلبا للعلاج ببركتها وكان يهرع إلى دارها المرضى فيتم الله لهم الشفاء ، فهى التى جعل الله تعالى فى يديها الشفاء ليحبها الناس ولتكون مفتاحا للخير . . . وكم من مهموم زارها فى حياتها أو زارها فى قبرها وسأل الله من فضله فكشف الله همه وفرج كربه وقضى له حاجته وفاز بمطلبه إكراما من الله تعالى لها. .

قدومها إلى مصر رضى الله عنها . .

بعد زيارتها رضى اللّه عنهـا قبر الخليل إبراهيم عليه السلام توجـهت إلى مصر مع والدها وزوجها وولدها وابنتها رضوان اللّه عليهم.

ولما سمع أهل مصـر بقدومها إليهم مـن قبل قدومها إلى مـصر لأنها من أهل البيت الكرام استقبلوها بالهوادج من العريش فرحًا بها وبقدومها فقد أحبها أهل مصر حبـا جما. وكـانوا يعتقـدون فى كراماتهـا بعد أن جربـوا صدق ما حـصل منها من كرامات. وكانوا يذهبـون لزيارتها ويسألونها أن تدعو اللّه لهم. فـتدعو لهم ثقة فى طهرها وعلو قدرها عند اللّه تعالى.

وحضرت إلـى حى مصر القديمة فى يوم السـبت السادس والعشرين مـن شهر رمضان سنة ثـلاث وتسعين ومائة هجرية. ونزلت أول مـانزلت بدار كبير تجـار مصر عبد اللّه بن الجصاص. ثم انتقلت منها إلى دار أم هانئ .

وقد أدى ازدحـام الناس على بيـتهـا لزيارتها. والاسـتماع إلـى مشورتهـا فى أمورهم أن فكر زوجهـا إسحاق المؤتمن فى الارتحال إلى الحجـاز ولكنها قالت له «**لا أستطيع ذلك لأنى رأيت رسول اللّه ﷺ فى المنام يقول لى: لاترحلى من مصر فإن اللّه تبارك وتعالى متوفيك فيها**» . [1]

وقد سئلت السـيدة زينب ابنة أخ السيدة نفيـسة : ما كان قوت عـمتك؟ قالت «**كانت تأكل أقل القليل . تكاد تأكل مرة كل يوم وما كـانت تأكل لغير زوجها**» تشير إلى أنها كانت تتحرى الحلال فى طعامها. .

ثم انتقلت السيدة نفيسة إلى دار أبى السرايا أيوب بن صابر ولهذا الرجل وابنته المقعدة قصه ذكرت فى كرامات السيدة نفيسة .

---

(١) الكواكب السيارة لابن الزيات .

ولما ذاعت كرامات السيدة نفيسة فى القطر المصرى هرع إليها الناس من كل جهة فازدحموا على بابها وضاقت بهم الدار ولما رأت أنهم شغلوها عن أورادها وقد ضاق المكان بالزوار فكرت فى العودة الى الحجاز لكن أهل مصر توافدوا على بيتها يرجونها البقاء وتوسلوا بالسرى بن الحكم أمير مصر للتوسط فى بقائها بينهم. فذهب إليها السرى وطلب منها البقاء بمصر ووعد بإزالة شكواها ووهب لها داره الواسعة بدرب السباع المعروفة بدار أبى جعفر خالد بن هارون السلمى فانتقلت إليها وخصصت يومى السبت والأربعاء كل أسبوع للمترددين والزوار حتى لاتشغل بطلباتهم عن العبادة، وظلت فى هذه الدار إلى أن توفيت بها ودفنت . وذكر المؤرخون أنه حين تنكر الخليفة العباسى لآل البيت وعزل الحسن عن ولاية المدينة ساءت أحوال أهل البيت لما تعرضوا له من ظلم على أيدى الخلفاء العباسيين منذ ذلك قرر الإمام الحسن والدها أن يختار بلدا غير المدينة. وهى وإن كانت عزيزة لديهم ففيها قبر جده المصطفى ﷺ إلا أن العباسيين قد ملئوها بالجواسيس فكانوا يحصون على العلويين أنفاسهم حتى قيدوا حركاتهم خوفا وتحسبا من أن ينادى الناس بهم خلفاء للمسلمين. وأدى هذا المسلك من قبل العباسيين إلى أن الناس كانوا يخشون على أنفسهم أن يجتمعوا بآل البيت جهارًا حتى شعر أهل البيت بالعزلة والوحدة ففكروا فى الخروج من هذا البلد الطيب الذى ضاق بهم على سعته بسبب العباسيين؛ ففكروا فى وطن جديد يعوضهم اللّه تعالى به أحب أرض اللّه إلى اللّه . . فكان حظ مصر التى جاء ذكرها فى القرآن كثيرا أن تكون المضيافة لأهل البيت وساعدهم على هذا الاختيار أن لهم بمصر رحم يجب أن يوصل منذ أن تزوج النبى ﷺ بالسيدة مارية أم المسلمين؛ كما أن لهم بها قرابة يجب أن تراعى وهى السيدة زينب رضى اللّه عنها منذ اختارت من قبل مصر مقاما لها بعد استشهاد أخيها الحسين فى كربلاء فكانت أول الغيث فى مصر ثم انهمر على أرض مصر كما أن بها السيدة سكينة بنت الحسين رضى اللّه عنها تسكن ضريحها الأنوار بالقرب من مسجد السيدة نفيسة رضى

الله عنهما .

ودع الحسن الأنور مدينة رسول الله ﷺ على كره منه وكان لآل البيت فى هجرة رسول الله ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة العزاء. فقد فارق مكة وهو يقول «**والله إنك لأحب أرض الله ولولا أن قومك أخرجونى ما خرجت**» فكانوا يتمثلون هذا الموقف العظيم وهم يودعون بلاد الحجاز إلى مصر .

وفى شهر رجب سنة مائة وإحدى وتسعين تحرك موكب أهل البيت الكريم إلى مصر بعد أن ودعوا قبر جدهم وداعًا حارًا ؛ كما ودعوا أهل المدينة الذين سالت من عيونهم الدموع غزيرة فقد تذكروا وداع رسول الله ﷺ إلى مثواه . .

غير أنهم كانوا لايملكون دفع الظلم عن أهل البيت فالعباسيون يتابعون أهل البيت ويبطشون بمن يوالونهم؛ ومع ذلك فقد اجتمع أهل المدينة يسكبون العبرات ويلثمون خدود أهل البيت ويقبلون منهم الأيدى والجباه ويعانقونهم فى شوق حار يكاد يمزق منهم الثياب . وكان بعضهم يتفوه بعبارات غير واضحة يسبون بها الحكام ويسألون الله أن يجازيهم شر الجزاء .

وكانوا يقولون «وداعا يا أبناء النبى ويا سلالة رسول الله وداعًا ياحملة القرآن وحماة الإسلام . . وداعًايا منازل الوحى ويا أحباب ملائكة الله وداعًا من قلوبنا حتى نلقاكم فى ساحة الرضوان حتى تحرك الركب فى الصحراء متجها إلى مصر ترقبة عيون أهل المدينة وتنطق ألسنتهم لهم بالحفظ والسلامة. وكانت العيون تودع الإمام الحسن وأبناءه العشرة ومن بينهم السيدة نفيسة التى أنبأ النبى ﷺ أباها بأنه سيكون لها شأن عظيم ، وزوجها إسحق المؤتمن وابنهما القاسم وبنتهما أم كلثوم وغيرهم من أبناء أهل البيت المكرمين.

وسار الركب المبارك حتى وصل إلى مشارف مصر وكان الخبر قد سبقهم إلى المصريين فخرج أبناء مصر رجالا ونساءً وأطفالا ينشدون الأشعار وكلمات الترحيب وكان اللقاء حارًا معبرًا عن الحب الكامن فى قلوب المصريين لأهل البيت وكان فى مقدمة المرحبين والمستقبلين العلماء والأمراء والوجهاء والأعيان حتى وصل الركب إلى بيت رجل كريم من سادات مصر النبلاء هو جمال الدين الجصاص بعدما تنافس الجميع فى استضافة الكرام من أهل البيت وكان هذا الرجل المختار جمال الدين هو الذى فاز بشرف استضافة أهل البيت.

وبعد أن رحب المصريون بمقدم موكب السيدة نفيسة واعتبروا اختيار مصر للإقامة فيها فخرًا وشرفًا عظيمًا لبلادهم كانوا يتنافسون فى تكريم السيدة نفيسة ويعتزون بوجودها بينهم .

وقد أصبحت دار السيد جمال الدين بن الجصاص كعبة الزوار والقاصدين فأقبل الناس على داره من أنحاء البلاد يزورون السيدة نفيسة ويسألونها الدعاء ويلتمسون منها البركات فكانوا يرون فيها حفيدة النبى ﷺ ومازالوا يتوافدون حتى ضاقت بهم الدار وازدحم رحابها على سعتها وأصبح ليلها كنهارها لا تسكن فيه الحركة ،حيث كانت الجموع القادمة فى ازدياد متواصل وكان الشيخ جمال الدين فرحًا بهذا الجمع الحاشد مبتهجًا به فكان يقدم للحاضرين كل ألوان التكريم تعبيرًا عن شعوره الطيب نحو حفيدة المصطفى ﷺ السيدة نفيسة . ورغم أن الوفود لم تكن كلها من داخل البلاد إلا أنه كان حريصًا على توفير واجبات الضيافة لمن حضر منهم من المغرب ومن تونس ومن السودان غير أن السيدة نفيسة قد أخذتها الرحمة به والشفقة عليه من كثرة الوفود التى يقوم الرجل على راحتها وتوفير كل ما يحتاجون إليه ففكرت السيدة نفيسة فى حل لهذا الموقف الذى كما ترى أنه أرهق الرجل الكريم كما أن الزحام على

دارها كان له التأثير على قـيامها يالعبادة كمـا تحب فهى التى لاتنام قبل أن تقرأ وردًا من القـرآن الكريم وتصلى لله من النوافل مـا ألزمت نفسـها به، وتصـوم أكثـر أيام الأسبـوع . . فكيف توفق بين هذه العـبادة وبين اسـتقـبال الحشـود الوافدة للـسلام والإقامة؟

ووجدت أن الحل في رحيلهـا إلى الحجاز ثانية غيـر أنه لما فاتحت به جلساءها غضـبوا وتجمهـروا، وحضر الناس من كل مكان راجين ومـتوسلين أن تقلع عن هذا القرار. ولمـا حاولوا مع السـيدة نفيـسة ولم يجـدوا لديها رغـبة النزول عن الـرحيل توجهوا إلى الحاكم (السرى بن الحكم)ورجوه أن يطلب منها البقاء بمصر؛ فلما عرض عليها رغبة المصريين وشفاعته بالبـقاء اعتذرت بضيق المكان بجموع الناس وشغلها عن أداء العبـادة الواجبة فـبحث لها عن حل لهـذه المسأله قائلا إن لى دارًا واسـعة بدرب السباع وأرجو أن تقبليها منى هدية ولا تردى هذه الهبة، وأما أن الناس يشغلونك عن العبادة فيمكننا أن نجعل لهم يومين فقط لزيارتك هما السبت والأربعاء من كل أسبوع فقبلت وباركت شفاعته ثم تحولت من منزل السيد جمال الدين إلى منزلها الجديد.

وظلت بهذه الدار المباركة إلى أن توفيت فيها فى المكان الذى فية مسجدها الآن والذى يؤمه المحبون ليصلوا فى المسجد ويتوجهوا إلى الله بالدعاء وعند قبرها وللدعاء عند مقامهـا الذى يستجاب عنده الدعاء وتتنزل عليه الرحـمة فزيارته دليل على مودة أهل البيت وكان من بين هؤلاء الشيخ أبو على الروزبادى محمد بن أحمد بن القاسم البغدادى شيخ مصر فى زمنها وجماعة من الصوفيه العلماء منهم أبـو بكر أحمـد ابن نصر الرقـاق وبنان الجمال شـيخ من شيوخ مـصر فى زمنه كان ذا منزلة عظيـمة فى نفوس المصريين وكانوا يضربون بعبادته المثل .

والإمام الطحاوى أبو جـعفر أحمد الأزدى الحنفى وهو العلامـة الحافظ انتهت

إليه رياسة أصحاب أبى حنيفة بمصر وله مؤلفات عدة فى العلوم الشرعية . وأبو جعفر محمد بن أحمد ابن جعفر الكنانى المشهور بابن الحداد وكان إماما كثير العبادة يختم القرآن كل ليلتين، وحمزه بن محمد بن العباس أبو القاسم الكنانى المصرى وكان عالما فى الحديث بصيرا بهذا العلم ولم يكن فى زمنه فى مصر أحفظ منه وعبد المنعم بن عبد الله بن غلبون بن المبارك أبو الطيب الحلبى وكان ماهرا كامل الثقة فى علمه . ولد بحلب سنة تسع وثلثمائة وانتقل إلى مصر وألف فيها كتابه الشهير «الإرشاد فى السمع» وكان عالما فريدا فى علوم القراءات وقد وجد بخطه على بعض مؤلفاته.

صنفت ذا العلم أبغى الفوز مجتهدا لكى أكون مع الأبرار والسعداء
فى جنة فى جوار اللّه خالقنا فى ظل عيش مقيم دائما أبداً

ومن هؤلاء العلماء محمد بن على بن أحمد الإمام أبو بكر الإدفوى المصرى وكان متمكنا من علوم اللغة العربية بصيرا بمعانيها وخصائصها كما كان بارعا فى علوم القرآن الكريم كتب تفسيرا للقرآن الكريم فى مائة وعشرين كتابا سماه الاستفتاء فى علوم القرآن وقد استغرق فى تأليفة اثنتى عشرة سنة وأمثال هؤلاء كثيرون كانوا يرون مودة أهل البيت لا تتحقق إلا بزيارتهم والدعاء عند قبورهم .

وفاتها رضى اللّه عنها بمصر :-

سافر زوجها إسحق المؤتمن إلى بلاد الحجاز واستأذنته السيدة نفيسة أن تبقى فى مصر فإنها مأمورة بذلك وكان لديها أمل فى أن يعاود زوجها زيارتها على فترات ولكنه بعد أن ولاه العباسيون إمارة المدينة المنورة لم يعد ولم يحضر وفاة عمه الحسن والد السيدة نفيسة ولا وفاة ولديه القاسم وأم كلثوم التى أسكنتهما بعد وفاتهما مع أبيها فى قبر قريب من بيتها وقد جعل اللّه سبحانه وتعالى لها جليسا وأنيسا من أهل

البيت الكرام هو الإمام الشافعى رضى اللّه عنه وكان يواسيها فكانت تسمع له وتجد لكلامه بردا وراحة ورضى بقضاء اللّه ولكن المنية لم تمهلة فعجلت به إلى نهاية كل حى وقد بكته السيدة نفيسة يوم وفاته بما لم تبك بها أباها وابنيها . ثم خلت حياتها من كل جليس يواسيها فى الخطوب التى توالت من رحيل الزوج إلى المدينة وفقد أبنتها وولدها ثم الإمام الشافعى ومع ذلك فقد كانت راضية بقضاء اللّه فيها صابرة على بلائها فكانت تلوذ بالصمت بعد هذه الخطوب إلا عن ذكر اللّه وتلاوة القرآن الكريم وتدريس العلم ولا تنام من الليل إلا أقله ولا تفطر من النهار إلا أيسره ولا تغفل عن وردها من تلاوة القرآن وذكر اللّه فقد قرأت القرآن فى قبرها الذى أعدته لتدفن فيه فى بيتها ألف ختمة وصلت فيه مائة ألف ركعة وذكرت اللّه فيه أضعاف ذلك ليظل مضيئا حولها وهى فى عالم البرزخ ومتسعا لها بفضل القرآن والذكر . . ولما اشتد عليها المرض مرض الموت وكانت صائمة فى شهر رجب من العام المائتين وثمان للهجرة إلى أن جاء شهر رمضان وقد اشتد عليها المرض فأحضروا لها الطبيب فلم يكد يراها حتى أمرها بالفطر فقالت :

اصرفوا عنى طبيبى ودعونى وحبيبى

زاد بى شوقى إليه وغرامى فى لهيبى

لا أبالى بفوات حين قد صار نصيبى

ثم أمرت بأن يكشفوا لها ستاراً كان قريبا من مرقدها فإذا وراء الستار قبر فأشارت إليه وقالت : هذا قبرى وههنا أدفن إن شاء اللّه ثم ضعفت على الكلام فأحضروا لها قليلا من الماء حيث كانت صائمة فأعرضت وردته عن شفتيها فقالوا لها إن اللّه رخص لك في الفطر فقالت : ويحكم وياعجبا لكم، منذ ثلاثين سنة وأنا أسأل اللّه أن يقبضنى وأنا صائمة. أو بعد أن استجاب اللّه دعائي وحقق رجائي أرد ذلك عليه؛ إننى سأفطر على الرحيق المختوم فى دار النعيم إن شاء اللّه ثم أخذت

تردد آيات القـرآن الكريم فى خـشـوع وخـضوع ورجـاء إلى أن كـان يوم الســادس والعشرين من شهر رمضان فى السنة نفسـها وكان ذلك بعد صلاة الفجر فلما وصلت إلى سورة الأنعام ضعف صوتها وكانت تسند رأسها إلى صدر زينب بنت أخيها حتى وصلت إلى قوله تعالى : (لهم دارُ السَّلامِ عند ربِّهم وهو وليُّهم بما كانوا يعملون(١)) ثم سكت صوتهـا إلا عن كلمة الشـهادة والتوحـيد. والمؤذنون ينادون لصـلاة الظهر ففاضت روحها الطاهرة إلى بارئها وودعت هذا العالم فرحة مستبشرة .

ولما شاع نبأ وفاتها اهتز أهل مـصر وهالهم هذا الخطب فحضروا من كل مكان وأصروا على أن يصلوا عليها كلهم وكانوا يدخلون للصلاة عليـها جماعات ودموعهم تجرى فكان هذا يوما مشهودا فى حياة أهل مصر وخرج الجميع حتى الأطفال ليودعوا نفيسة العلم الطاهرة الزكيـة الوداع الأخير فقد سعد بها المصريون حـية وميتة ولما بلغ زوجها خبر وفاتها وهو فى المدينة المنورة حضـر إلى مصر وحاول نقل جثمانها الطاهر إلى المدينة لتدفن فى البقـيع مع جدتها الزهراء وجدها الحسن ولكن المصـريين تجمعوا وناشدوه ألا يفعل فهى بركتهم وتشفعوا إليه بالأمير فلم يقبل فبكوا بكاءهم عليها يوم موتهـا ولم يتركوا حيلـةولا محاولة إلا اتخذوها حـتى إن بعض المحبين المتحـمسين حاولوا إرغامـه على تركها بعد أن فشلت كل الجهـود ولما لم يفلحوا بات الناس عند قبرها يدعون اللّه أن يلين قلب إسحق المؤتمن زوجها ألايريهم ساعة فراقها مرتين وقد رحم اللّه قلوبهم فاستجاب لتضرعهموأنقذهم من هول هذه الفاجعة وأبعد عنهم شبح الفراق العصيب فقد قضى سبحانه وتعالى أن تظل السيدة نفيسة بركة مصر والمصريين إلى أن تقوم الساعة وقـضى أن تظل السيدة الطاهرة ساكنة قبرها الذى حـفرته بيديها وأضاءته بقـرآنها وذكـرها وقد هدى اللّه قلب زوجـها فقـام فى هذه الحشـود وقال: يامعشر المصريين هنيئا لكم بركة السيدة نفيسة بين ظهرانيكم فوالله الذى لا إله إلا هو لقـد رأيت رسـول اللّه ﷺ فى منامـى الليلة يقـول لى: (دع نفـيسـة بنت الحسـن

للمصـريين حيث هى فإن الله عز وجل ينزل الرحـمات عليهم ببركـاتها [1] وما كاد يفرغ من كـلامه حتى ضج الجمـيع بالحمد والثناء لله سبـحانه وتعالى وقامـوا بصلاة الشكر وما كان اللّه ليحرم أرض الكنانة من بركة السيدة نفيسة بعد أن عطرت بأنفاسها الطاهرة أجواءها ووطأت أقـدامها الـكريمة ترابها فسـلام اللّه عليها فى جـنات النعيم ولاحرمنا اللّه أجرها إلى يوم الدين ونفـعنا بنفحاتها وبركاتها إنه سـبحانه وتعالى هو السميع العليم.

فقـد شرفت مصـر وأهلها بإقامـتها بهـذا البلد الآمن المضياف لآل البـيت مدة خمـس عشـرة سنة إلا عشـرة أيام من ست وعشـرين من شهـر رمضـان سنة ثلاث وتسعين ومـائه إلى نصف رمضان سنة ثـمان ومائتين هجـرية نشرت فيـها العلم بين العلماء وطلاب الـعلم وأطعمت الفقـراء والمساكين وأشـاعت روح المحبة ونمتـها فى قلوب المصريين نحـو آل البيت فأصـبحت قلوبهم عامـرة بحبهم فـقام كثـيرون منهم بواجب المودة نحوهم بالزيارة والدعاء والتماس البركات .

الاحتفال بذكرى السيدة نفيسة :

إن فى إحياء ذكرى الصالحين موعظة وإحياء الذكرى يدعو إلى مراجعة سيرتهم العطرة و يحقق الانتفـاع بجهادهـم فى سبيل اللّه فـبفضل جهادهم نالوا تقـدير العباد وعبروا عن ذلك بتحديد وقت للحديث عن مناقـبهم وفضلهم وآثارهم الطيبة وأطلقوا على هذا الوقت الاحـتفال بمـولد الولى وقد التـمس العلماء الدليل على مـشروعـية الاحتفال بذكرى مولد الولى بتكريم رسول اللّه ﷺ يوم مولده يوم الاثنين فكان يلازم صوم هذا اليوم من كل أسبوع فسـئل فى ذلك، فقال: ذاك يوم ولدت فيه وأنزل علىّ فيه كما ثبت فى الحديث الـشريف . فكان رسول اللّه ﷺ يحيى يوم مولده شكرا للّه تعالى بالصيام فاستدلّوا بذلك على مشروعية الاحتفال وإحياء يوم مولد الولى وبطريقة

---

(١) السيدة نفيسة بنت حسن لأحمد الشهاوى شرف الدين .

تخلو من المرفوض الذى يسىء إلى الذكرى الطيبة بل التى يجب أن تحقق النفع كما هو الغرض المطلوب من تلاوة القرآن الكريم والوعظ والإرشاد ونشر الثقافة الإسلامية وإقامة الذكر الصحيح وما يتبع ذلك من رواج تجارى وحركة اجتماعية لا تضيق بها أصول الأحكام الشرعية السمحة ومن هنا فإن إحياء الذكرى لا يعارض نصًا شرعيا ويعتبر من قبيل شكر النعمة فإن القاعدة تقول ليس كل مالم يكن فى الصدر الأول هو حرام وإلا فلم يبق فى حياتنا شىء حلال . . ولا يفوتنا أن ننوه إلى أن الاحتفال بذكرى مولد الأولياء والصالحين ليس من قبيل العبادة وإنما هو من قبيل العادة المحمودة التى يتحقق معها النفع والأعمال بالنيات فما كان فى هذه الاحتفالات من المرفوض فلا يُقَّوم إلا بالإصلاح وليس بالإلغاء ومن هنا فقد اعتاد المحبون أن يحيوا ذكرى مولد السيدة نفيسة فى مسجدها كل عام ونيتهم الانتفاع بما بذلت من علم وكرم وأيضا الدعوة إلى التعرف على مناقب أهل البيت ومودتهم ومحبتهم فإن اللّه تعالى يوالى من يواليهم ويعادى من يعاديهم. فالسيدة نفيسة بخاصة هى الفقيهة والعابدة باعتراف العلماء وعلى رأسهم الإمام الشافعى رضى اللّه عنه وكفى فى ذلك وصيته رضى اللّه عنه أن تصلى عليه فما كانت الوصية من إمام معترف بفضله وعلمه وفقهه إلا ثقة منه فى دينها وتقواها رضى اللّه عنها .

السيدة نفيسة فى وجدان الشعراء المحبين :

لما كان الشعراء الذين آمنوا قد أفاض اللّه تعالى عليهم بالوجدان الطاهر والحب الغامر لأهل البيت حبا فى جدهم المصطفى ﷺ ورغبة فى أداء واجب المودة وتحدثا بفضل اللّه تعالى عليهم بنعمة الفصاحة والحكمة . . فقد وظفوا هذه الموهبة الكريمة وتنافسوا فى التعبير عن حبهم الصادق لآل بيت المصطفى ﷺ فى حكمة بالغة وبيان ساحر ليشدوا المؤمنين إلى رحاب أهل البيت فهناك تستجاب الدعوات وتتنزل الرحمات وترفع الهموم وتزال الغموم وتنشرح الصدور وتشعر الأفئدة بالأمان والسلام ومن هذا الفيض الذى نظمه الشعراء قال المرحوم الشيخ أحمد محمد الكنانى

بهـذى الرحـاب رحـاب الكرام أنخت ركـابى فـحـاشـا أُضـام

وكــيف وإنـى مــحب ولـى بتـلك المغـانـى هوًى وغـرام

إذا زاد سـقـمى وعـز الشـفـا فـقـربى مـنهـا يُزيـل السقـام

كلفت صغيرا بتلك الربوع وقلبى يحن لتلك الخيام

كـشـمس النهـار كـرامـاتهـا وكم مـن دليل عـلى ذاك قـام

فكم مـن أخى شـقـوة أمّـهـا فـعـاد سـعـيـدا ونال المرام

وكم مـن حـزين أتاها فـعـاد قـريـر العيـون عـلاه ابتـسام

كـفى بـابن إدريس لـى شـاهداً على مـا أقـول وهذا إمـام

وليس من الجـود أنا نعـود بخـفى حنين وأنتم كـرام

فـأنت رجـائى بعـد الإله ومن جـاء هذا الحـمى لايضـام

فـجـدك طه شـفـيع العـصـاة وغـوث الخـلائق يوم الزحـام

عـليـه مـن اللّه فـى كـل آن أجل الصـلاة وأزكى السـلام

ومن قصيدة للشيخ أحمد الحامى رحمه الله

يا صـاح إنَ رُمت الحـيـاة الفـاخـرة فاقصـد حمى بنت الكرام الطاهره

ذات الكـرامـات المعظمـة التى أسـرارها بين الخـلائق ظـاهره

كم جـاءها ذو فـاقـة يرجـو الغنى جـبرت بـتيـسير المعـاش خـاطره

يا كـعـبـة الأسـرار جـئـتك لائذا أبغى الندى من فـيض كف عاطره

وقال الأستاذ أحمد فهمي محمد :

فهنا مهابط رحمة وشفاعة وهنا ينابيع من النعماء

والنور يسطع فى نواحي قبرها نور النبوة فى سنًى وسناء

فالله ينفعنا بها وبجدها والله يكتبنا مع السعداء

وهذه الأبيات المختارة من قصيدة لواحد من هؤلاء المحبين يصف ضريح السيدة نفيسة :

ياحبذا روضة فى الخلد نبتتة ماملثها فى الخلد من شجر

المصطفى أصلها والفرع فاطمة ثم اللقاح على سيد البشر

والهاشميان سبطان ولاثمر والشيعة الورق الملتف بالثمر

إنى بحبهم أرجو النجاة غدا والفوز فى زمرة من أفضل الزمر

وقال الإمام البوصيرى صاحب البردة والهمزية فى مدح السيدة نفيسة آل البيت رضى الله عنهم :

فطوبى لمن يسعى لمشهدك الذى تكاد إلى مغناه تسعى المشاهد

إذا أمّهُ القاصدون تيسرت عليهم وإن لم يسألوك المقاصد

أَلَذّ من الماء الزلال مواقعا على كبد الظمآن والماء بارد

بآبائك الأطهار زُيِنّتْ العلا فحبات عقد المجد منهم فرائد

ورثت صفات المصطفى وعلومه ففضلكما -لولا النبوة- واحد

إذا مامضى منكم إمامُ هدًى أتى إمام هدى يدعو إلى الله راشد

أحبكمو قلبى فأصبح منطقى يجادل عنكم حسبة ويجالد

وهل حبكم للناس إلا عقيدة على أُسِّها فى الله تبنى القواعد

وإن اعتقادا خاليا من محبة وود لكم آل النبى لفاسد

وقد بينت لى «هل أتى» كم أتى بها ... مكارم أخلاق لكم ومحامد

أسيدتى إنى رجوتك معلنا ... بما أنا من در المناقب ناضد

وأعين آمالى إليك نواظر ... بما أنا من عادات فضلك عائد

فلولا ندى كفيك ما اخضر يابس ... ولا اهتز من أرض المكارم هامد

إلى الله أشكو يا ابنة الحسن الذى ... لقيت وإنى إن شكوت لحامد

ومالى لا أشكو لآل محمد ... خطوبًا بها ضاقت على المراصد

دعوناك مضطرين يارب فاستجب ... فإنك لم تخلف لديك المواعد

فقدِّر لنا خير الذى أنت أهله ... فما أحد عما تقدر سائد

وصِلْ حبلنا بالمصطفى إن حبله ... لنا صلة يارب منك وعائد

ومما قيل فى فضلها رضى الله عنها :

يامن أتى متوسلا بنفيسة ... أبشر بنيل القصد والإسعاد

حزت القبول وصرت فى كهف الحمى ... ومنحت فضل الله بالإرشاد

فادخل حماها واقصد المولى تنل ... حسن الختام وصحبة للهادى

فى جنة الخلد التى أصحابها ... المتقون عذاب يوم معاد

واسأله مغفرة ولطفا فى القضا ... وقضاء حاجات وقهر أعادى

واطلب رضا مولاك جل جلاله ... وعناية وهداية العبَّاد

وابدأ مقالك واختتمه بالسلام ... تحية لرئيسة الزهاد

وزد الصلاة على النبى محمد ... وصحابة من آله الزهاد

واقرأ من القرآن عند ضريحها ... متأدبا تمنح عطا الأمجاد

كما قيل كذلك فى فضل آل البيت الكرام وفى مناقب السيدة نفيسة رضى اللّه عنها :

لآل البيت فضل ليس يخفى ... على أحد إلى يوم القيامه

فمنهم خير سيدة بمصر ... هي المنجى لأهل الاستقامه

كريمة سيدٍ سند شريف ... هو الحسن بن زيد ذى الفخامه

سليل السبط ذى رأى سديد ... جلا الفتن العظام عن الإمامه

نفيسة جدها خير البرايا ... وقد حفظ الإله له زمامه

إذا جاء العليل إلى حماها ... بأية علة تشفى سقامه

وفى آل البيت قال المحب كذلك:

بكم المدائح تُستلَذ وتعشق ... وإذا بكم يا آل أحمد رونْق

وإذا نظمت مدائحا لعلاكم ... صدق المديح وغيره لا يصدق

وإذا كتبت حروفها ورقمتها ... قال الورى تالله أنت موفق

ومما قيل كذلك :

يامن كراماتها كالشمس ظاهرة ... ومن لها رتبة فاقت علا الرتب

نفيسة الجاه إنى جئت مشتكيا ... ما لست أحمله من زائد العطب

قد حزت أعظم فخر جل مطلبه ... حيث انتسبت لخير العجم والعرب

وقد أفاض الأستاذ أحمد فهمى محمد مؤلف كتاب (كريمة الدارين الطاهرة نفيسة) عندما عبر عن مدى حبه لأهل البيت متمثلا فى السيدة نفيسة رضى الله عنها ومما قال :

قف لائذا بسليلة الزهراء بنت النبى كريمة الآباء

ذات العلا والمكرمات نفيسة بنت الأمير وسيد الكرماء

وكريمة الدارين سيدة الحمى غوث اللهيف وفرحة الغماء

فاقصد حماها راجيا متوسلا وارفع أكف ضراعة ودعاء

فهناك مهبط رحمة وشفاعة وبه ينابيع من النعماء

الفيض فى جنباته ومقامها حرم من البأساء والضراء

والنور يسطع فى حفافي قبرها نور النبوة فى سنى وسناء

الله ينفعنا بها وبجدها والله يكتبنا مع السعداء

لذ بالحمى متجملا بولاء واقصد مقام نفيسة العصماء

نور النبوة والهداية ساطع من قبرها يسنو على الأضواء

شهد الخلائق إنها لكريمة خلق لها من نبتة الكرماء

آباؤها الغر الذين تتابعت من فيضها سحب من النعماء

آل النبى ومن يلوذ بروضهم عاش الحياة بروضة فيحاء

فالزم خضوعك فى زيارة قبرها واجأر إلى الرحمن فى البأساء

فهناك أمكنة القبول وإنها تضفو على زوارها بسخاء

وقال أيضا مبينا أثر زيارة السيدة نفيسة فى راحة قلبه وانشراح صدره :

ما إن جرى دهرى علىّ بمحنة فأزورها حتى يزول عنانى

رَوْح وريحان يحفّ بروضها تزهو به بركاتها ببهاء

وملائك الرحمن حَول ضريحها يتضرعون لزائر بدعاء

يا آل طه إننا نرجو بكم كرم الزحام شفاعة الشفعاء

ولنا بكم يا آل طه نفحة من نفحة الرحمن ذى الآلاء

أنتم أمان للعباد وعصمة وسفينة تجرى بهم لنجاء

دع عنك إفك الزائفين فإنهم سدروا بباطلهم إلى الظلماء

لكنهم ضلوا وضل رشادهم فتخبطوا في ظلمة ظلماء

والله يهدى من أحب بهديه ويضل من يرديه فى الأهواء

صلى الإله على النبى وآله ما آذنت شمس الضحى بضياء

ومما قاله أيضا شكراً لله وإكرامه :

يا صاحبى قم فى المقام وناد متوسلا بسليلة الأمجاد

بنفيسة ذات المقامات العلا حسنية التصريف والإمداد

وكريمة الدارين بنت محمد وعقيلة الأمجاد والأجواد

يهفو إلى أعتابها أحبابها ما بين داع فى الحمى ومناد

حاشا لزائرها وقاصد قبرها من أن يضام بكعبة القصاد

فالله يجبر كسره برحابها ويخصّه من ركنها بعماد

اليسر والفرج القريب بروضها فكأنما كانا على ميعاد

فـقـد اصطـفـاها الله منه بـنعـمـة　　مــوصــولة بـنسب النبـى الهــادى

الفــضل فى جنبــاتهــا مـتــزايد　　والفـــيض تـنشـــره علـى الرواد

يـا بـنــت طـه إننـى بـك لائـذ　　مما يجــو ربه الزمـــان العــادى

وبجـاه خـيـر الخـلق أرجـو إربتى　　بالـنور فى خـيـــر وفى إمـــداد

صلـى عليــه اللـه جل جــلاله　　والآل والأصـــحـــاب فـى الآباد

وفى حب أهل البيت للسيد محمد جاد الرب غفر الله له :

علـى الأعـــتـــاب يـا آل النبى　　وقـــفنـا بين أيديـكم نـحـــيى

نحـيى بالـصـلاة عـلى الصـفى　　مـــحـمـــد النبى الهـــاشـــمى

عـلى الـزهـراء أم النيـــريـن　　علـى الســـبطين قـــرة كـل عين

حَبـيبـىْ روحنا حسن حـسين　　علـى الأب فى مـــعــاليـــة عـلى

بكم وبـزينب طرزت شـــعــري　　بكـل ســلالـة البــيت الأغـــر

وقـفت عليكمْ - شـعرى ونثرى　　فـــيـــاحـظ الفـــواصـل و الروى

لقــــد باركــــتـم الأقطـار طرا　　بمكـة أو بطـيــــبـــة أو بمـصـــر

مـقــامكم بهــا قـد طاب نـشـرا　　فطـاب الكون بالـعـرف الشـــذى

وهكذا تنافس الشعراء فى التعبير عن حب أهل البيت وكيف أن الله سبحانه وتعالى أكرم مصر والمصريين بسكناهم فى مشاهدهم المضيئة فى أنحاء البلاد تيسيرا لمن لم يستطع زيارة جدهم المصطفى ﷺ بالمدينة المنورة فإن الله سبحانه وتعالى لم يحرمه من زيارة عترته الطاهرة وأهل بيته الطاهرين وذلك فضل الله تعالى على أهل المحبة . . .

وللعارف بالله الشيخ أحمد سعد العقاد هذه الأبيات فى حب آل البيت كذلك:

فروع طه لهم وصل بحضرته ترى الضيا ظاهراً منهم إذا فاهوا
هم البحار حياة الروح بهجتها هم الكنوز لهم بالمصطفى جاه
هم الشفاء من الأسقام عند همو راح طهور ورب العرش حلاه
فكن محبالهم فى السير متبعا تنل وصولا إلى المختار ترضاه
يارب واجعل لنا من حبهم مددا وسلم القلب مما كان يخشاه
يارب صل على طه وعترته واحفظ فؤادى بعين الود ترعاه

وما أجمل ما أنشد دافعا الملامة واللائمين على فرط حبه لآل البيت فقال:

ومهما أُلاَمْ على حبهم فلسْتُ الفتى خائف اللائمه
فلا تعذلونى على قصدهم فإن المحبة لي لازمه
ونفسى تناجيهمو دائما وأنوارهم بيننا دائمه
إذا مسَّ نفسى فتورُ المعاصى بذكرهمو أصبحت هائمه
فيا عاذرى ثم يا عاذلى سواء رضاك أو اللائمه
فقل ما تشاء وكن ما تشاء فإنى أحب بنى فاطمه

وقال فى المحبة كذلك...

قالوا اعتراك تَوَلُّهٌ فأجبتهم أنا مغرم قلبا بحب حسين
فبآل بيت المصطفى حلّ الصفا وبهم أنال العز فى الدارين
والروح فى أدب المحبة والعلا تبدى الجمان بمنطق الشفتين
لو آدرك العزل حلو غرامهم تركوا وعادوا العمر لا ينهونى

فكيف لايحب مؤمن آل البيت الكرام وقد أحبهم سيدنا محمد ﷺ وغمرهم بعطفه وحنانه وشملهم ببركته ودعائه وورثهم حكمته وعلومه وأنواره فذلك فضل الله عليهم وكفى بالله عليما .

وكما تحدث بفضل أهل البيت ووصف أخلاقهم سيدى محمد الباقر قال أيها الناس إن أهل بيت نبيكم شرفهم الله بكرامته واستحفظهم بسره فهم عماد لأمته شهداء علمه، برأهم الله من خير بريته وأظلهم تحت سماء فضله فهم الأئمة المهديون والسادة البررة، وهم عصمة لمن لجأ إليهم ونجاة لمن تأسى بهم، يغتبط من والاهم ويهلك من عاداهم وهم الفروع الطيبة والشجرة المباركة وأهل بيت الرحمة والبركة الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم بفضله تطهيراً .

وصف المسجد والضريح :

يقع المسجد والضريح المعروف بالمشهد النفيسى فى المكان المعروف بالمشهد النفيسى بين شارعى الأشرف وشارع السيدة نفيسة ومكتوب على باب الضريح على الرخام.

عرش الحقائق مهبط الأسرار   قبر النفيسة بنت ذى الأنوار

حسن بن زيد الحسن نجل الإما   م على بن عم المصطفى المختار

هذا المسجد الجامع أجمع النسابة والرواة والمؤرخون على أن قبر السيدة نفيسة فى هذا المكان لاخلاف فيه ، جاء فى كتاب الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة لابن الزيات فى آداب زيارة المشاهد والأضرحة للاتعاظ والتفكير فى الآخرة قوله، أما ابتداؤنا بالزيارات فمن مشهد السيدة نفيسة لما روى عن رسول الله ﷺ قوله «**النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتى أمان لأهل الأرض**» وأضاف ابن الزيات فقال : وأردت بذلك أصح المشاهد كما رواه العلماء رضى الله عنهم لأن السيدة نفيسة آقامت بهذا المكان فى أيام حياتها وحفرت قبرها فيه بيدها رضى الله عنها[1] وجاء

(١) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون سعاد ماهر .

فى كتاب الدرة النفيسة فى ترجمة السيدة نفيسة. ينبغى لمن زار هذا المكان أن يقول عند دخوله الضريح «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد».

اللهم إنك قد ندبتنى إلى أمر قد فهمته واعتقدته وجعلته أجرا لنبيك محمد ﷺ الذى هديتنا به إليك ودللتنا به عليك فكان كما قلت. فى سورة الأحزاب «وكان بالمؤمنين رحيما» فتلك الفريضة التى جعلتها له وهى المودة فى القربى اللهم إنى مؤديها مريد النفع بها فى دينى ودنياى متوسلا بها إليه يوم القيامة يوم انقطاع الأسباب، اللهم زده شرفا على شرف وتعظيما على تعظيم وهب لنا بزيارة أهل البيت مغفرة وأجرا عظيمًا.

وصف الضريح وتاريخه .

كما جاء فى خطط المقريزى[1] أن أول من بنى على قبرها عبيد الله بن السرى عبد الحكم والى مصر من قبل الدولة الأموية، ثم أعيد بناء الضريح فى عهد الدولة الفاطمية حيث أقيمت عليه قبة وقد دون تاريخ هذه العمارة على لوحة من الرخام وضعت على باب الضريح جاء فيها ما نصه «نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين، أمر بعمارة هذا الباب السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الأنام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته وشد عضده بولده الأجل سيف الإمام جلال الإسلام شرف الأنام ناصر الدين خليل أمير المؤمنين زاد الله فى علاته وأمتع المؤمنين بطول بقائه فى شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين وأربعمائه . وفى عهد الخليفة الحافظ لدين الله حدث تصدع لقبة المشهد فجددت كماكسى المحراب بالرخام وكان ذلك سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائه.

وجاء فى كتاب المزارات للسخاوى [2] أن السلطان الناصر بن قلاوون أمر سنة

---

(١) الخطط صـ٤ صـ١٠٢ .

(٢) تحفة الأحباب صـ٣٩ .

أثنتين وخمسين وسبعمائه للهجرة أن يتولى النظارة على المشهد النفيسى الخلفاء العباسيون[1] وأن أول من تولى النظر عليه هو الخليفة المعتضد بالله وقال الجبرتى فى عجائب الآثار أن الأمير عبد الرحمن كتخدا عمَّر المشهد النفيسى ومسجده وبنى الضريح على هذه الهيئة الموجودة وجعل لزيارة النساء طريقابخلاف طريق الرجال وذلك سنة ١١٧٣هـ كما كتب على باب الضريح بالذهب على الرخام بيتين من الشعر ذكرناهما فى وصف الضريح كما ذكر على مبارك فى الخطط التوفيقية الضريح والمسجد الملحق به ووصفه مستفيضا وأنه قد حبس على المشهد أربعمائه وخمسين فدانا وحوانيت للصرف عليه كما كانت نظارة الأوقاف فى ذلك الوقت تتولى الصرف والإنفاق عليه من حصيلة صندوق النذور والتى كانت تبلغ فى ذلك الوقت مبالغ كبيرة .

وخلال فترات من الزمن أجريت للمسجد أعمال ترميمات وإضافات تناسب مكانة ساكنة الضريح الأنور فى قلوب المصريين وهذه الأعمال والإضافات تمت فى أوائل التسعينيات من هذا القرن العشرين حيث أضيفت مساحة كبيرة تعرف بالمسجد الجديد على يمين المسجد الأصلى وروعى فى هذه التوسعة أن تكون قريبة من المسجد الأصلى فى التخطيط والزخرفة وهى مساحة مستطيلة الشكل طول ضلعها حوالى أربعين مترا وعرضها حوالى عشرين مترا وتعلو هذه التوسعة أو هذا المسجد مكتبة عامرة يرتادها طلاب العلم والباحثون ولا تزال وزارة الأوقاف التى قامت ببناء هذا المسجد الجديد والمكتبة تجرى دراسات فى المساحة الواسعة التى تلى المدخل الرئيسى كما قامت بتنظيم ميدان المسجد بما يتناسب مع شرف المكان باعتباره مزارا دينيا من أشهر المزارات بمدينة القاهرة .

والمسجد النفيسى فى موقعة الحالى يجذب المصلين والزائرين حيث ينتشر النسيم

(١) الخلفاء العباسيون فى ذلك الوقت هم من سلسلة العباسيين الذين هربوا .
مصر بعد أن قضى المغول على الخلافة العباسية في العراق ٦٥٦ .

العليل فيقلل حرارة الصيف وينتشر الدفء الروحى فى الشتاء فتنجذب إليه الأرواح المؤمنة لتؤدى واجب العبودية لله سبحانه وتعالى ثم تزور القبر الشريف مودة فى أهل بيت رسول الله ﷺ فبعد واجب العبودية يأتى واجب المودة لنفيسة العلم العالية القدر ابنة الإمام الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الإمام الحسن بن الإمام على كرم الله وجهه التى سعدت مكة بمولدها وشرفت المدينة بنشأتها وكانت لاتفارق حرم الرسول ﷺ فتصلى فى الروضة المشرفة كما كانت تتعلق بالكعبة المشرفة فى حجاتها الثلاثين وتناجى ربها: إلهى وسيدى ومولاى متعنى وفرحنى برضاك عنى فلا تسبب لى سببا به عنك تحجبنى . . .

وأول من أمر ببناء مقام لها بعد وفاتها أمير مصر ابن عبد الحكم ثم جدد سنة اثنتين وثمانى وأربعمائه. هجرية فى عهد المنتصر بالله أمير المؤمنين المكنى بأبى تميم (معد) على يد ولده الأمير جلال الدين خليل [١] وفى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائه بنيت قبة على القبر الشريف بأمر الخليفة الحافظ لدين الله عبد المجيد العلوى كما بنى مدفن للفاطميين بجوارها من الجهة الغربية وقد اندثر ولم يعد له أثر باق حيث أدخل فى المسجد والقبة الموجودين. كما بنى العباسيون الذين كانوا خلفاء بمصر مدفنا لهم بجوارها من الجهة الشرقية وهو باق حتى الآن ثم أخذ الأمراء وأرباب الدولة والأعيان فى البناء لدفن أمواتهم بجوار ضريحها للتبرك بها واستمر الحال على ذلك للآن . وعلى باب الضريح نقش هذان البيتان للإمام الشافعى رضى الله عنه.

يا آل بيت رسول الله حبكمْ ... فرض من الله فى القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم القدر أنكم ... من لم يصلّ عليكم لاصلاة له

وفى سنة أربع عشرة وسبعمائة جدد الضريح الملك الناصر محمد بن قلاوون وأنشأ مسجداً بجواره ثم جدد هذا المسجد الأمير عبد الرحمن كتخدا فى سنة ثلاث

(١) الجواهر النفيسة فى مناقب السيدة نفيسة محمد عبد الخالق سعد.

وسبعين ومائة وألف .

وبعد أن حدث حريق أتلف جزء كبيراً منه فى أواخر سنة عشر وثلثمائة وألف جدد المسجد والضريح فى عهد الخديوى عباسى حلمى باشا خديوى مصر فى ذلك الوقت فى شهر صفر سنة ثلاث عشرة وثلثمائة وألف وأقيم بهذه المناسبة احتفال عظيم حضره الأمراء والعلماء والأعيان وقد افتتح بصلاة الجمعة فيه فى يوم الثامن والعشرين من صفر فى نفس العام وقال المقريزى رضى اللّه عنه ، وقبر السيدة نفيسة رضى اللّه عنها أحد المواضع المعروفة بإجابة الدعاء بمصر . .(١)

وجاء على لسان بعض الصالحين : إن اللّه تعالى وكل بقبر السيدة نفيسة ملائكة لقضاء حاجات الناس رضى اللّه عنها .

وقال السخاوى فى التحفة «. . **ومشهد السيدة نفيسة رضى اللّه عنها مجرب بإجابة الدعاء**»

الزيارة والمزارات :

وجهنا العلماء والفقهاء إلى أهمية زيارة القبور للموعظة وتذكر الموت ويوم الحساب وهذه الزيارة مستحبة فى كل أيام الأسبوع عند الحنابلة ومن عصر يوم الخميس إلى طلوع شمس يوم السبت عند الشافعية وأيام الخميس والجمعة والسبت عند الحنفية والمالكية مع الحث على زيارة قبر المصطفى ﷺ والصلاة فى الروضة الشريفة فتلك من أعظم المقاصد .

وتمييزا لقبور الصالحين وآل البيت خاصة فقد جرت العادة على إقامة أضرحة أخذاً من توجيهات النبى ﷺ لتمييز قبر صحابى هو سيدنا سعد بن عبادة الذى ارتضاه يهود خيبر ليكون حكما بينه وبين يهود خيبر فكانت له مكانة عند النبى ﷺ وقد قال الرسول ﷺ عند موته «**اهتز العرش لموت سعد بن عبادة**» وقال ضعوا على

(١) الخطط للمقريزى .

قبره علامة وصار الأمر على ذلك لتمييز بعض القبور ومعرفة مكانها وتدرج المسلمون فى هذا حتى احتوت العلامة على القبر على لوحة عليها اسم المتوفى والدعاء له واستخدموا بعد ذلك شواهد القبور ونقشوا عليها العبارات الدعائية للمتوفى وتاريخ الوفاة واشتملت بعد ذلك على بعض الزخارف الإسلامية وهذه العادة لاتصادم نصًا فى القرآن ولا فى السنة إذ الضريح دليل فقط على مكان المتوفى ليس إلا .

وكما اهتموا بتشييد الأضرحة اهتموا كذلك بتسجيل آداب الزيارة الشرعية التى يجب أن يلتزم بها الزائر بقصد صلة الأرواح وأداء واجبات الأخوة فى اللّه بالدعاء للمتوفى بالرحمة والمغفرة ومما هو مأخوذ من الآيات القرآنية والسنة النبوية .

وفى هذا قال الإمام الشعرانى وهو الفقية الزاهد العابد المحدث الصوفى ترك سبعين مؤلفا فى علوم الشريعة والتصوف وهو من أئمة القرن السادس عشر الميلادى وله مسجد باسمه فى حى باب الشعرية بالقاهرة . قال فى آداب الزيارة هى التشوق إلى المزور وحسن الظن فى فضله وطهارته من المعاصى المعنوية والحسية وخلوص النية بأن يكون الباعث على الزيارة امتثال أمرالشارع فإن خلت الزيارة من ذلك فلانفع لها ولا ثواب لها بل تكون رياء ونفاقا أما إذا زرت بحسن القصد وحسن الأدب . فإن كان المتوفى من أهل اللّه فإنه لابد لك من الخير الأوفر فإن اللّه سبحانه وتعالى قد وكل بقبور الصالحين ملائكة يقضون حوائج الزائرين لأن أهل اللّه محل الكرم أحياء وأمواتا ومن دخل بيت كريم لا يرجع من غير خير ولاسيما إن كانوا من أهل بيت المصطفى ﷺ .

وقال كذلك فى لطائف المنن «ومما مَنَّ اللّه به على زيارتى لأهل البيت الذين دفنوا فى مصر كلهم أو رءوسهم فقط، أزورهم فى السنة ثلاث مرات بقصد صلة رحم رسول اللّه ﷺ ولم أر من بعض الناس ذلك إما لجهلهم بمقامهم وإما بحجة عدم ثبوت دفنهم فى مصر وهذا جحود فإن الظن يكفينا فى ذلك .

وينبغى لمن يزور ضريحا من أضرحة أولياء الله الصالحين وخاصة أضرحة من كان من أهل البيت أن يقول: بسم الله الرحمن الرحيم«**إنما يريد الله ليذهبَ عنكم الرجسَ أهلَ البيت ويْطهِّركم تطهيراً، رحمةُ الله وبركاتهُ عليكم أهلَ البيتِ إنه حميدٌ مجيدٌ**» اللهم إنك قد ندبتنى لأمر قد فهمته وقلته وسمعته وجعلته أجرا لنبيك محمد عليه الصلاة والسلام إذ هديتنا به إليك ودللتنا به عليك وكان كما قلت بالمؤمنين رحيما ، وتلك الفريضة التى سألتها له وهى المودة فى القربى، اللهم إنى مؤديها مريدا بها النفع فى دينى ودنياى متوسلا بها إليك يوم انقطاع الأسباب، اللهم زدهم شرفا وتعظيما وهب لى بزيارتهم ثوابا ومغفرة وأجرا عظيما، السلام عليكم يابنى المصطفى يابنى فاطمة الزهراء، اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا محمد، اللهم بلغنى ما أملت ومارجوت، وأعد على المسلمين من بركاتهم يارب العالمين .

أهل البيت فى القرآن والسنة

أهل البيت تطابق كلمة آل البيت غير أن كلمة آل البيت اقتصر استخدامها على آل النبى ﷺ وقد تعددت الآراء فى تحديد من هم أهل البيت ونورد من هذه الآراء، رأى قال إن أهل البيت يطلق على سيدنا على كرم الله وجهه والسيدة فاطمة الزهراء وأبنائهم ونسلهم ومنهم من قال إن اللفظ يطلق على أسرة النبى ﷺ تميزًا لهم عن المهاجرين والأنصار . . ومنهم من يقول إنه اللفظ يتسع من وجوه شتى ليشمل فروع بنى هاشم ومالهم من موال، ومنهم من يقول إن اللفظ يطلق على الأمة الإسلامية جميعها ولاسيما الصالحين منهم استنادًا إلى أثر أن رسول الله ﷺ قال: «**أناجد كل تقى**».

ومنهم من يقول إن اللفظ يشمل كل أزواج النبى ﷺ وأبنائه وعليًا زوج ابنته وهذا يعارض تفسير الشيعة العلويين حيث يحصرون الآل فى على كرم الله وجهه وزوجته ونسله وكذلك يستدل أصحاب الرأى الذى ينسب أهل البيت إلى سائر الأمة إلى قولة ﷺ «**سلمان منا أهل البيت**» وذلك عندما اختلف المهاجرون والأنصار فى سلمان الفارسى كل يريد أن ينسبه إليهم ليعمل معهم فى حفر الخندق غير أن هذا القول إن صح فهو تكريم لسلمان رضى الله عنه وإن كان سفيان الثورى لما سئل عن آل محمد ﷺ قال «**أمة محمد ﷺ**».

كما أن هناك من حصر آل البيت فى المهاجرين عامة دون غيرهم وهناك من حصر آل البيت فى آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس ويستدل أصحاب الرأى الذى عدّ آل البيت فى على وزوجتة وأبنائه إلى مارواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه لما دخل على كرم الله وجهه بفاطمة رضى الله عنها جاء النبى ﷺ أربعين صباحا إلى بابها يقول : (**السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، الصلاة يرحمكم الله «إنما يريد اللهُ ليذهبَ عنكم الرجسَ أهلَ البيتِ ويطهّركم تطهيراً**) أنا

حرب لمن حاربتم أنا سلم لمن سالمتم. كما روى أن السيدة أم سلمة رضى اللّه عنها قالت : لما نزلت الآية الكريمة ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[1] دعا رسول اللّه ﷺ عليًا وفاطمة والحسن والحسين فجلل عليهم كساءً خبيريًا «وقال اللهم هؤلاء أهل البيت اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا حينئذ قالت أم سلمة : ألست أنا منهم يارسول اللّه قال: مكانك وأنت على خير .

وإن كانت هناك آراء تفيد أن زوجاته ﷺ من أهل البيت كذلك . وقد روى أن النبى ﷺ ضم إلى أهل الكساء وهم على وفاطمة والحسن والحسين رضى اللّه عنهم، بقية بناته وأقاربه وأزواجه كما ورد فى تفسير سورة الأحزاب للأستاذ عبد الفتاح خليفة صـ٨٥.

أما الإستاذ حسن كامل الملطاوى فله اجتهاد نرى أنه هو الأصوب فقد ذكر فى كتابه السيدة خديجة الكبرى أم المؤمنين أن أهل البيت هم المنسوبون إلى النبى ﷺ من أولاد فاطمة وعلى رضى الله عنهما يقول فى ذلك «ذكر الفقهاء من خصائصه ﷺ أنه ينسب إليه أبناء بناته ولم يذكروا فى ذلك أولاد بنات بناته فالخصوصية للطبقة العليا فقط فأولاد فاطمة عليها السلام الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم ينسبون إليه وأما أولاد أختيهما زينب وأم كلثوم فينسبون إلى أبيهم عبد الله بن جعفر وعمر بن الخطاب على التوالى فخرج أولاد فاطمة وحدها للخصوصية التى ورد الحديث بها وهو مقصور على ذرية الحسن والحسين عليهما السلام فقد أخرج الحاكم فى المستدرك عن جابر قال: قال رسول اللّه ﷺ«**لكل بنى آدم عصبة إلا بنى فاطمة أناوليهما وعصبتهما**»

(١) سورة الأحزاب : الآية ٣٣ .

أما لفظ الأشراف فإنه يطلق على أهل البيت من كان منهم حسنيًا أو حسينيا أو من ذرية محـمد بن الحنيفـة ابن الإمام على كرم الله وجـهه أوجعـفريًا أو عقـيليًا أو عباسيًا فيقال الشريف الحسنى والشريف الحسينى والشريف العباسى والشريف الزينبى غير أنه عندما تولى الفاطميون الخلافة فى مصر اطلقوا لقب الشريف على ذرية الحسن والحسين فقط فكان هناك قسم خاص بهما وقسم عام .[1]

ومن الطريف أن الحسن والحسين خاصه كـانا يقولان لجدهما المصطفى ﷺ يا أبت ويقولان لأبيهما الإمام على كرم الله وجـهه يا أبا الحسن ويا أبا الحسين فقد تمت محاورة بين الحـجاج وإلى العراق والشعبى حـول بنوة الحسن والحسين ونسبتـهما إلى رسول اللّه ﷺ وكان الشعبى محـبًا لأهل البيت يقول عنهم إنهم أبناء الرسول وذريته ﷺ فاستدعاه الحـجاج وجمع علماء الكوفه والبصرة وبدأ الحجـاج كلامه للشعبى : **«بلغنى أنك تقـول عن أبناء على أنهم أبناء رسول الله ﷺ مع أنه ليس لـهم اتصال به إلا بأمـهم فـاطمـة ،ألـم تعلم أن أبناء الرجل ينسبـون إليـه والأنسـاب لا تكون إلا بالآباء؟»** .

فرد عليه الشعبى: «مـا أراك تكلمنا إلا بكلام من يجهل كلام الله وسنة رسول اللّه ﷺ فقال الحجاج وقد اشتد غضبه: **«ويلك كيف تقول لى هذا ؟» فقال الشعبى «هؤلاءهم العلماء وقراء كـتاب الله العزيز»** ووجه إليـهم الكلام: «أليس اللّه تعالى يقول عن سـيدنا إبراهيم عليـه السلام **«ومِنْ ذُريتِه عيسى»** وهل كان اتصـال عيسى بإبراهيم عليهما السلام إلا من جهة أمه مريم الصـديقة فماذا تقول؟ كما أنه قد صرح أن النبى ﷺ قال: هذا حـسين ابنى سيد شبـاب أهل الجنة». فخجل الحـجاج وأخذ يتلطف للشعـبى أورد هذا الحوار الأستـاذ حسن كامل الملطاوي فى كـتابه أم المؤمنين السيدة خديجة صـــ٢٣١ .

---

(١) مشارق الأنوار للعدونى صـ١٥٠

ولأمير المؤمنين عمر رضى الله عنه موقف كريم من أهل البيت فقد سعى ليظل موصولا بالمصطفى ﷺ أخذا من الحديث «كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى وكل ولد أم عصبتهم لأبيهم ماخلا ولد فاطمة فإنى أنا أبوهم وعصبتهم عندئذ سعى عمر رضى الله عنه فتزوج بالسيدة أم كلثوم بنت السيدة فاطمة الزهراء ولما كانت تصغره كثيرا فى العمر قال إنما أردت أن أكون موصولا برسول الله ﷺ وتزوجها لهذا المقصد الشريف مع فارق السن بينهما رضى الله عنهما.

لقد جاء ذكر أهل البيت فى القرآن الكريم فى مواضع أهمها قوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** (١) ﴾.

فى معنى الآية قال الإمام الطبرى أي يذهب عنكم الرجس والسوء والفحشاء ياأهل بيت محمد ويطهركم من الدنس الذى يكون فى أهل معصيه الله. فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء وخصهم برحمة منه.

وقد استدل العلماء على أن أهل البيت هم مع رسول الله ﷺ على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم استدلوا بحديث عن الأعمش عن عطية عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ﷺ: «نزلت هذه الآية فىّ وفى على وفاطمة وحسن وحسين».

كذلك فى حديث زيد عن شهر بن حوشب عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : كان النبى ﷺ عندى وفاطمة وعلى والحسن والحسين فجعلت لهم (خريزة) طعامًا من دقيق ولحم فأكلوا وناموا وغُطىَّ عليهم كساء أو قطيفة ثم قال «اللهم هؤلاء أهل بيتى اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً (٢) .

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٣٣.

(٢) انظر تفسير الطبرى .

وكذلك حديث ابن مـرزوق عن عطية عن أبى سعيـد عن أم سلمة زوج النبى ﷺ أن هذه الآية نزلت فى بيتها فقالت: وأنا جالسة على باب البيت فقلت : وأنا يا رسول الله ، ألـست من أهل البيت قال: إنـك إلى خير أنت من أزواج النـبى قالت وفى البيت رسول الله ﷺ وعلى وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم .

وهناك رأى آخر يعرّف أهل البيت أنهم أزواجـه أمهات المؤمنين خاصة لايدخل معهن رجل وهو رأى عكرمة وابن عباس ومقاتل وذهبوا إلى أن البيت أريد به مساكن النبى ﷺ فهم أهل بيت أو بيوت النبى واستدلوا بأن الآية نزلت فيهـن والمخاطبة بعد الآية إليهن قال تعالى « **إِنَّمَـا يُرِيـدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْـتِ وَيُطَهِّـرَكُمْ تَطْهِيـراً وَاذْكُـرْنَ مَـا يُتْلَىٰ فِي بُيُـوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَـةِ إِنَّ اللَّهَ كَـانَ لَطِيـفًا خَبِيـراً** »[1]

غير أن الذين رفضوا هذا الرأى استدلوا بضـمير المخاطب الجمع المذكر فى قوله تعالى فى الآية «**إنما يريد الله ليـذهب عنكم الرجس أهل البيت ويـطهركم تطهيراً** » ولم يستخدم ضمير المؤنث.

وهذا الرأى يقول إن الذى يظهـر من الآية أنها عامة فى جمـيع أهل البيت مع الأزواج وغيرهم وإن استـخدام ضمير المخاطب الجمع المذكـر لتغليب جمع المذكر مع أن الآية فى نساء النبى ﷺ والمخاطبة لهن ويدل عليه سياق القول الكريم.

وأما رأى الشيعة فى تعريف أهل البـيت هو أنهم الخمسة رسول الله ﷺ وعلى وفاطمة والحسن والحـسين وذريتهما رضى الله عنهم غير أن هناك رأيـا مخالفًا يوسع الدائرة فيقول إن أهل البيت هم الصـالحون من أمة رسول الله ﷺ ولايقف فقط على الهاشميين كما يرى البعض .

---

(١) الأحزاب ٣٣ -٣٤ .

وفى القرآن الكريم دليل يفيد فى تعريف أهل البيت جاء فى سورة آل عمران فى آية المباهلة ﴿ **فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ** ﴾ فإن نساء المؤمنين تمثلهم السيدة فاطمة الزهراء وابناها ريحانتاه ﷺ الحسن والحسين والأنفس أخوه على كرم الله جهه مع ﷺ والذى كان منه بمنزلة سيدنا هارون من موسى عليهما السلام . فأهل البيت هم أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء بهم تعم البركة وهم الأئمة الهداة وهم مصابيح الدجى ومنار الهدى يخبر حلمهم عن علمهم وصمتهم عن حكمتهم فيا سعادة من لزم مودتهم واتبع آثارهم فإن معهم راية الحق من تبعها لحق ، ومن تأخر عنهم محق، وما أجمل ما قال سيدنا أبو بكر رضى الله عنه «**والذى نفسى بيده لقرابة النبى محمد ﷺ أحب إلى من قرابتى**» .

إن رحم رسول الله ﷺ موصولة فى الدنيا والآخرة روى أحمد والحاكم والبيهقى عن حمزة بن أبى سعيد الخذرى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما ما بال رجال يقولون: إن رحم رسول الله لا تنفع يوم القيامة بلى والله إن رحمى لموصولة فى الدنيا والآخرة عندئذ قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: « فتزوجت أم كلثوم بنت على رضى اللـه عنه رجاء أن يكون بينى وبينه ﷺ نسب وسبب كما أن من الآيات القرآنية التى جاء للمفسرين فيها أقوال عن أهل البيت قوله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ**﴾ (٢) فقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الذرية التابعة بالإيمان تلحق بصاحب الذرية فيلحق الأبناء بمراتب الآباء ومن هنا فإن آل بيت النبى ﷺ يلحقون به ﷺ فى الجنة . واستدلوا بحديث ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ليرفع

(١) سورة آل عمران الآية (٦٠) .

(٢) سورة الطور . الآية (٢١) .

ذرية المؤمن فى درجته وإن كانوا دونه فى العمل لتـقر عينه بهم » ولأن الآية فى صفة إحسان اللّه تعالى إلى أهل الجنة ولفظة (ألحقنا) تقـضى أن للملحق بعض التقصير فى الأعمال ومع ذلك يعاملهم اللّه تعالى بفضلة كرما وجوداً وفضلا منه.

وكذلك روى شريك عن سـالم عن سعيد عن جبـير قال : يدخل الرجل الجنة فيقول أين أبى ؟ أين أمى أين ولدى؟ أين زوجى؟ فيـقال له: لم يعملوا مثل عملك فيقـول كنت أعمل لى ولهم فيقـال لهم ادخلوا الجنة ثم قرأ ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾[1] فإذا أكرم اللّه تعالى المؤمن لإيمانه يجعل ذريته الذين لايستحقون درجة معـه فى الجنة لتقصيرهم فالمصطفى ﷺ أكرم على ربه تبارك وتعالى من أن يهين ذريتـه بحرمانهم من الجنة فى الآخرة وسبحـانه وتعالى قال ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ [2] بل من كمـال شرفه ﷺ ورفـيع قدره وعظيم منزلته أن يـقر اللّه عينه بالعـفو عن معـاصى ذريته والتجـاوز عنها ويدخلهم الجنة.

لذلك استدل البعـض على صلة رحم النبى ﷺ به فى الدنيا والآخرة وأن هذه الصلة تنفع آل بيتـه رضى اللّه عنه فى الآخرة ففى الحـديث الشريف عن أبى سعـيد الخدرى عن أبيه قـال خطب رسول اللّه فقال «مابال أقوام يزعـمون أن رحمى لاتنفع والذى نفسى بيـده أن رحمى لموصول فى الدنيـا والآخرة وحول قـوله تعالى ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾[3] قال ابن عباس رضى اللّه عنهما إن اللّه تعالى جعل من ثواب المطيع سـروره بمايراه فى أهله فبشره بدخول الجنة معهم فدل على أنهم يدخلونها كرامة للمطيع المؤمن باللّه وأيضا فإنه إذا جاز أن يكرم اللّه تعالى عباده المؤمنين بالذيـن عملوا بطاعته ونهوا أنفسهم عن مـخالفته بأن يدخل

---

(١) الرعد ٢٣ . (٢) آل عمران ١٩٢ . (٣) الرعد ٢٣

معـهم الجنة من أهلهم وذوى قرابـتهم من كان مـؤمنا قد قـصر فى عبـادة ربه بطرق التبعية لهم برسول اللّه سـيد المرسلين وإمام المتقين لأولى بهذه الكرامة أن يدخل اللّه تعالى عصاة ذريته الجنة تبعا له واللّه سبحانه وتعالى ذو فضل عظيم .

من وصايا رسول اللّه ﷺ بأهل البيت :

جاء فى وصاياه ﷺ بأهل بيـته الأطهار قال : «**الزموا مودتنا آل الـبيت فإنه من لقى اللّه عز وجل وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا والذى نفـسى بيده لاينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا**» .

ولما شكا إليه العباس رضى اللّه عنه مـا تفعله قريش من إيذاء آل البيت غضب ﷺ غضبًا شديدًا وقال محذرًا : «**والذى نفسى بيده لايدخل الإيمان قلب رجل حتى يحبكم لله ولرسوله**» وكان أبو بكر رضى اللّه عنه يقول : «**صلة قرابة رسول اللّه ﷺ أحب إلىَّ من صلة قرابتى**» .وكان سيـدنا عمر رضى اللّه عنه يقـول للحسين : «إذا كانت لك حاجـه عندنا فلا تقف كالناس عند الباب فإنى أسـتحيى أن يراك اللّه على باب عمـر» ذلك لأنه ذهب ذات مرة لأمر لدى أمـير المؤمنين عمـر فلقيه ابن عـمر فأخبره أن أباه ربمـا يكون مستريحا الآن فى البيت ؛ فـعاد الحسين رضى اللّه عنه ولما بلغ سـيدنا عـمر ذلك غـضب من ابنهُ عبـد الله وذهب إلى الحـسين رضى اللّه عنه واعتذر له وقال له قولته المتـقدمة . ولقد بين رسول اللّه ﷺ مكانة أهل البيت حين سألوه فقـرأ صيغة التشهـد الأخير الذى يقوله المصلى : اللهم صلِّ على مـحمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم لذلك يقول القائل المحب :

رأيت ولائـى آل طه فــــريضــــــة على رغم أهل البعد يورثنى القربى
فما طلب المبعـوث أجرا على الهدى بتــبليـغــه إلا المـودة فى القــربى

وكذلك قال الإمام الشافعى فى هذا المقام:

هم القوم من أصفاهم الود مخلصا　　تمسك فى أخراه بالسبب الأقوى
هم القوم فاقوا العلمين مناقبا　　محاسنهم تُحكى وآياتهم تروى
موالاتهم فرض وحبهمُ هدى　　وطاعتهم ود وودهم تقى

ومن وصاياه ﷺ بهم كذلك :

عن أبى سعيد الخدرى أن رسول اللّه ﷺ قال : «لايبغضنا أحد إلا وأدخله الله النار» رواه الحاكم على شرط الشيخين . ولهذا قال الإمام على كرم اللّه وجهه لمعاوية ابن أبى سفيان «إياك وبغضنا فإن رسول اللّه ﷺ قال : لايبغضنا ولا يحسدنا أحد إلا رُدَّ عن الحوض يوم القيامة بسياط من نار» رواه الطبراني فى الأوسط . ومن هنا فقد تنافس الصالحون فى حب آل البيت الأطهار وعبروا عن ذلك بوسائل التعبير المختلفة فعلى كل مؤمن أن يجعل حب أهل البيت نبراسًا ونورا يضىء له الطريق إلى السعادة فى الدنيا والآخرة فهذا هو الشاعر الملهم الشيخ على عقل يقول ويدفع ملامة اللائمين له على فرط حبه لآل البيت :

ومهما ألام على حبهم　　فلست الفتى خائف اللائمه
فروحى على بابهم ترتمى　　ونفسى بأعتابهم خادمه
إذا مس نفسى فتور المعاصى　　بذكرهمو أصبحت هائمه
فيا عاذرى ثم يا عاذلى　　سواء رضاك أو اللائمه
فقل ما تشاء وكن ما تشاء　　فإنى أحب بنى فاطمه

فهذا الشاعر الملهم مصمم على خوض بحار المحبة مهما وجه إليه اللائمون من ملام وذلك هو صدق المحبة لآل البيت .

وعن أبى ذر الغفارى قال قال رسول اللّه ﷺ : «**مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق**» .

وعن أبى سعيد رضى الله عنه أن رسول اللّه ﷺ قال «**من أبغض أهل بيتى فهو منافق**».

وعن جابر أن رسول اللّه ﷺ قال: «**لايحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقى، ولا يبغضنا إلا منافق شقى**» .

وأول من يحظى بشفاعه رسول اللّه ﷺ هم أهل بيته: فقد ورد عن ابن عمر رضى اللّه عنهما أن رسول اللّه ﷺ قال: «**أول من أشفع له يوم القيامة من أمتى،أهل بيتى، ثم الأقرب فالأقرب ثم الأنصار ثم من آمن بى من أهل اليمين ثم سائر العرب ثم الأعاجم**» .

وعنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «**أربعة أنالهم شفيع يوم القيامة : المكرم لذريتى، والقاضى لهم حوائجهم ، والساعى لهم فى أمورهم عندما اضطروا إليه، رالمحب لهم بقلبه ولسانه**».

وعنه أن رسول اللّه ﷺ قال : «**أول من أشفع له من أمتى أهل بيتى**».

وقال بعضهم فى حب ابناء الإمام على كرم الله وجهه .

إليكم كل مكرمة تئول إذا ما قيل جدكم الرسول
أبوكم خير من ركب المطايا وأمكم المعظمة البتول
إذا افتخر الإنام بمدح قوم بخدمتكم تشرف جبريل

فضل أهل البيت ومناقبهم

قال الشيخ العارف أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى رضى اللّه عنه ما تعبَّد متعبد بأكثر من التحبب إلى أولياء اللّه تعالى لأن محبة أولياء اللّه تعالى دليل على محبة اللّه عز وجل وهؤلاء أهل البيت من أولياء القمة .

فصل على من فضلهم فيض فضله خلاصتهم من ذا اللباب لبابه

وعن أبى هريره رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّهﷺ إن اللّه تبارك وتعالى قال «من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب». الحديث رواه البخارى وأهل بيته ﷺ أولياء الله وأحباؤه .

وعن معاذ بن جبل رضى اللّه عنه قال سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: قال اللّه عز وجل المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور تغبطهم النبيون والشهداء . قال الترمذى حديث حسن صحيح . .

فالزم محبة أهل البيت تنل شفاعة رسول اللّه ﷺ ناهيك عن أنهم أولى بالمحبة لصفاتهم ولأخلاقهم ولجهادهم فقد كانوا فى البلاء صابرين وفى الرخاء شاكرين وفى كل الأحوال حامدين وكانوا للـه متواضعين ومن خوف الفقر آمنين وبربهم فى أرزاقهم واثقين وبمقادير اللّه عز وجل مسرورين وعلى أنفسهم مؤثرين وعن حب العلو ورعين .

فبالله عليك الا يميل القلب إلى قربهم ومودتهم لأخلاقهم وصفاتهم فهم أصحاب مآثر ومن مآثرهم أنهم كانوا فيما أحل الله لهم من طيبات الدنيا من الزاهدين ومن حسناتهم مشفقين إذا أدبرت عنهم الدنيا لايحزنون وعند الرخاء لايبطرون وعند الشدائد لايقنطون وفى حال البلاء لا يسخطون كانوا بربهم فى وحدتهم يأنسون وشعارهم :

ليلى بوجهك مشرق وظلامه فى الناس سارى

والناس فى سدف الظلا . . م ونحن فى ضوء النهار

وتظهر لنا خطبة الإمام على كرم الله وجهه فضل أهل البيت إذ يقول «هم عيش العلم وموت الجهل يخبركم حلمهم عن علمهم ، وظاهرهم عن باطنهم وصمتهم عن منطقهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه هم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام، بهم عاد الحق إلى نصابه وانزاح الباطل عن مقامه، عقلوا الدين عقل رعاية ووعاية لا عقل سماع ورواية فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل .

ثم يقول: انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم فإنهم يخرجون بكم إلى هدى ولن يعيدوكم فى ردى فإن لبدوا فالبدوا وإن نهضوا فانهضوا ،ولا تتأخروا عنهم فتهكلوا. ويقول كذلك : الا إنهم أبرار عترتى وأطايب أرومتى أحلم الناس صغاراً وأعلمهم كبارا ألا وأنا وأهل البيت من علم الله علمنا فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ومعنا راية الحق من تبعها لحق ومن تأخر عنها محق ألا وإنه بنا يدرك كل مؤمن ثواب عمله وبناتخلع ربقة الذل من أعناقكم وبنا فتح الله تعالى وبنا يختم.

فإكرام أهل البيت واجب تعظيما للرسول عليه الصلاة والسلام فعن أنس رضى الله عنه بينما الرسول ﷺ فى المسجد إذ أقبل على فسلم ثم وقف فنظر النبى ﷺ فى وجوه الصحابة أيهم يفسح لعلى، وكان أبو بكر رضى الله عنه على يمين رسول

أهل البيت فى قلوب الشعراء

وما أجمل ماعبر به المحبون من الشعراء عن مقام الحب لآل البيت فأنشدوا وأفاضوا وهذه نفحاتهم وهى قطرة فى محيط المحبين :

يا آل بيت رسول اللّه حبكمُ ثوب أعز به واللّه جمَّله

كأن حبكمو أصلى وناشئتى وإننى من قديم قد خلقت له

من يوم كنت صغيرا إذ سمعت بكم أصابنى فى فؤادى الوجد والوله

آل النبى كرام لا يضيع لهم راجٍ ومَن أمهَّم فالله يوصله

وكل مدح حرام فى مذاهبهم إلا مديحهمُ الرحمن حلله

فاعلم بأن بني المختار حبهمو فرض من الله فى القرآن أنزله

وقال المحب:

بنفسى أفدى الزُهر من تضعه الزهرا بهم نلت كل الخير دنياى والأخرى

لقد غرسونى من زهور رياضهم فطابت حياتى من مكارمهم زهرا

إذا قيل لى تهواهْم قلت ملكهم ووقف يمين لايُباع ولا يشرى

تسامْوا على كل الأنام فضائلا وقد بين القرآن أوصافهم طهرا

جداول من بحر النبى محمدٍ فما مثلها تلقى جداول أو بحرا

فإن كان ذنبى أن قلبى يحبهم فإن ذنوبى لن تُلمَّ بها حصرا

كما قال المحب فى الإمام الحسين رضى الله عنه :

قـالوا اعتـراك تولّه فـأجـبتـهم أنا مـغـرم قلبًـا بحب حـسين

فـأبيت فـى آل النبـى على جـوًى وأظل مـحـسو باعـلى السـبطين

يا آل أحـمـد أنتـمـو كنز الندى فـبكـم ننال الـعـز فى الـدارين

فـإذا سـألتـهـمـو عطـاء عن يد فـاضـوا علىّ الجـود فـيض يديْن

لو أدرك الـعـزال حلـو غـرامـهم تركـوا وعـادوا العـمر لم ينـهـون

وكيف لا ولآهل البـيت فى قلوب الشعراء المصريين خـاصة حب كبيـر فهم شجـرة النبوة وينابيع الحكمـة إن نطقوا صـدقوا وإن صمـتوا لم يسبـقوا من أحـبهم يستـمطر رحمة اللّه ويرجـو رضوانه هم وصايا رسـول اللّه ﷺ لأمته فـفى الحديث الشريف عن الحـسن السبط رضى الله عنه قـال: خطب جدى رسـول اللّه ﷺ يوما فقال بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه: «معاشر الناس إنى أدعى فأجيب وإنى تارك فيكم الثقلين؛ كتاب اللّه تعالى وعترتى أهل بيتى أن تمسكتم بهما لن تضلوا ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض .

وعن أبى بن كـعب أن رسول الله قـال: «أدبوا أولادكم على ثلاث خـصال؛ حب نبيكم وحب أهل بيته وقراءة القـرآن فإن حملة القرآن فى ظل الله يوم لاظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه.

وهذه مناجاة كريمة للشيخ عبد الرحمن الأجهورى :

آل طه لكم علينا الولاء   لاسواكم بما لكم آلاء

حبكم واجب على كل شخص   حدثتنا بضمنه الأنباء

شرفت مصرنا بكم آل طه   فهنيئا لنا وحق الهناء

شرفت منهم النفوس وسادوا   حيثما أشرفوا فهم شرفاء

كل مدح مقصر بعلاهم   كل فرد من هديهم لألاء

وهذه الرائعة للمرحوم المحب الصادق محمد جاد الرب :

على الأعتاب يا آل النبى   وقفنا بين أيديكم نحيى

نحيى بالصلاة على الصفى   محمد النبى الهاشمى

على الزهراء أم النيريْن   على السبطين قرة كل عين

حبيبىْ روحنا حسن حسين   على الأب فى معاليه على

على أبوا بكم بابا فبابا   نناديكم وننتظر الجوابا

لندخل بالرضا تلك الرحابا   فإن رضاءكم شبعى وربى

وقفت عليكم شعرى ونثرى   فياحظ الفواصل والروى

لقد باركتم الأقطار طرا   بمكة أو بطيبة أو بمصر

مقامكمو بها قد طاب نشرا   فطاب الكون بالعرْف الشذى

وهذه الأبيات من قصيدة للشيخ محمد الأطهر الحامدى :

أ أقصد آل أحمد خير آل وأخشى بعد من حدث الليالى

هم الأمراء سادات البرايا وأرباب المفاخر والمعالى

حماة الدين لم يألوه جهدا ولا أعياهمو طول النضال

أجل الناس منقبة وأندى وأسبقهم إلى كرم الفعال

ويقول القائل المحب :

هم العروة الوثقى لمعتصم بها مناقبهم جاءت بوحى وإنزال

مناقب فى الشورى وفى سورة هل أتى وفى سورة الأحزاب يعرفها التالى

وهم آل بيت المصطفى فودادهم على الناس مفروض بحكم وإسجال

ويقول الإمام البوصيرى صاحب البردة :

وهل حبكم للناس إلا عقيدة على أسسها فى الناس تبنى العقائد

وإن اعتقادا خاليا من محبة وردكم آل النبى لفاسد

ويقول المحب :

حب النبى وأهل البيت معتمدى إذا الخطوب أسدت رأيها فينا

يارب صيِّر حياتى فى محبتهم ومحشرى معهم آمين آمينا

ويقول سيدى أحمد الحلوانى رضى الله عنه :

هم الدين والدنيا لعمرى همو همو فقل ما شئت فيهم لا ترهبن نكرا

بدور سمَتْ عن شمس أكرم مرسل أناروا دياجى الكون بالطلعة الغرا

وبالبر والتقوى وبالحلم والندى وبالعلم والفتوى وبالذكر والذكرى

ويقول دعبل الخزاعى :

كـــلامـك فى أهل النبى فـــإنـهم ... أحبـــاى مـا عـاشـوا وأهل ثـقـاتى

تخـــيـرتـهم رشـدا لأمـــرى فـــإنهم ... على كل حـــال خـيـــرة الخـيـــرات

فـيــارب زدنى من يقـــينى ذخـــيـرة ... وزد حـــبـــهم يارب فى حــــسـناتى

وكم جبـروا ســواى كـــسـير قلب ... وكـم كـفـلوا ســواى فـقـيــر حـال

ألـيس الأولــيــــاء لـهم مــــزايـا ... وأطـوار تجـل عـن المثــــــــال

لهـم عند المهــيـــمـن مـــا أرادوا ... من الإكـــــرام والرتـب العــــوالى

ومن قصيدة للشيخ أحمد الكنانى :

فـــعـسـى بكم وبجــدكم يا ســـادتى ... من ضــر مـــا أشكو يكون شــفـائى

قـــد أثقلتنى الـسـيـئـــات ومـالهـــا ... فى العـــد من حـــصـر ولا إحـصـاء

بل ليس، لـى من صـالـح الأعــمـــال ... أرجـــو به تخـــفـــيف حـمـل بلائي

إلا التـــجـــائى للنبى ونســـبـــتى ... لجنابه العــــالى وحــــسن ولائى

صلى عليــه الله مـــاسـرت الصـــبـا ... او فــاح عـرف المسك في الأرجـاء

ويقول المحب كذلك :

لآل الـبـــــــيـت عـــــز لايـزول ... وفــضـل لا تحـيط بـه العـــقـــول

وإجــلال ومــجـــد قـــد تـســامى ... ونور مـــــالغـــايـتــه وصـــول

لـهم عــــزم وسـلـطـنـة وجـــــاه ... ودام لهــم من الـله الـقــــبـــــول

ســـيــوف فى الأعـــادى فـــاتكات ... وسطـوتهم لـهـــارعب مــــهـــول

زكـــوا أصــــلا بنســـبــتـهـم ولكن ... يطيـب الفـــرع مـــاطـاب الأصـــول

مــــعـــاذ الـلّه أن أخـــشى نـكالا ... ولى فـى حــــبــــهـم باع طـويل

ولآل البيت فى قلوب المحبين الوفاء المناسب لمقامهم فى النفوس والقلوب وقد أفاضوا فى التعبير عن الحب الفياض ومما نظموا شعرا وقالوا نثرا ومما قالوا وعند الزيارة :

السلام والتحية والإكرام على أهل بيت النبى الكرام السلام والرحمة على السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن السبط بن على وابن فاطمة الزهراء رضى الله عنهم فلا يحرم فضلكم الإ محروم ولا يواليكم إلا مؤمن تقى ولا يعاديكم إلا منافق شقى اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وأعطنى خير ما رجوت بهم ويلغنى خيرماأملت فيهم يا آل بيت المصطفى إنما السرور والسلامة فيكم، اللهم

إنى ألوذ بحب آل محمد أرجو بذلك رحمة الرحمن

منى الدعاء بحبهم لك دائما يا دائم المعروف والإحسان

وكان بعضهم ينشد عند ضريحها

يارب إنى مؤمن بمحمد وبآل بنت محمد وموالىِ

فبحقهم كن لى شفيعا منقذا من فتنة الدنيا وشر مآلى

كما كان بعضهم يعبر عن وفائه لهم فحين يدخل الضريح يقول:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد .

اللهم إنى نازل إليك بأعتابهم متقرب بولائهم متذرع بالطاهرين من رجالهمُ والطاهرات من نسائهم، اللهم زدهم شرفا وتعظيما وشرفهم شرفا حادثا وقديما وهب لنا من زيارتهم مغفرة وأجرا عظيما.

السلام عليكم يا آل البيت يابنى فاطمة الزهراء يابنى على المرتضى يابنى الحسن

والحسين يا أهل النبى أنتم القوم لايحرم من خيركم إلا محروم ولايطرد من بابكم إلا مطرود ولا يواليكم إلا تقى ولا يعاديكم إلا شقى.

ثم يقرأ الفاتحة ويدعو حاجتة من أمر دنياه وآخرته.

ومنهم من أنشد :

يـاابن الـزهراء والـنور الـذى ظن مـــوسى أنه نار قـــبس

لا اوالى الدهـر من عـــاداكم إنهم آخـــر سطر فى عـــبس

يقصد قوله تعالى فى آخر سورة عبس (**ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة**)[1] .

وجاء على لســان بعض السلف الصالح من العارفين قوله : مــن كان فى شدة وكرب وأراد تفريجه فليتــوجه إلى مشهد نفيسة الدارين السيـدة نفيسة رضى اللّه عنها وبعد قراءة الفاتحة وسورة الإخلاص مرات وسورة الأعلى يقول:

كم حـاربتنى شـدة بجيـشـهـا فـضاق صـدرى من لقـاها وانزعج

حــتـى إذا آيَسْتُ من زوالـهـــا جـاءت الألـطاف تسـعى بالـفـرج

يقولها عدة مرات فإن الله تعالى يفرج عنه كربه ويقضى سؤله.

وما أجمل ما قال المحب :

حـبكم قـد شـربتـه فى فـؤادى فى قــديم الزمـــان إذ كنت طفــلا

قـيل تبلى فـقلت تـبلى عظامى وسط لحــدى وحــبكم ليس يـبلى

---

(١) عيسى ٤٠ - ٤٢

كذلك قال المحب :

لايعـــرف الشـــوق إلا من يكـابده ولا الصـــبـــابة إلا من يـعـــاينهـــا

الله يعـلم أن الـنفس قـــــد رقت شــوقًـا إليــهم ولكنـى أسليـهـــا

ومما ترجم فى هذا المقام الشيخ الصاوى شعلان غفر الله له مما قاله الشاعر إقبال شاعر باكستان :

ولزوج فـاطمـــة بسـورة هل أتى تاج يفـوق الشـمس عند ضـحـاها

فى روض فـاطمـة نما غـصنان لم ينجبـــهـمـــا فى النيـــرات ســواها

حسن الذى صان الجماعة بعد ما أمـــسى تفـــرقـــهـــا يـحل عـــراها

ترك الخـلافـة ثم أصبح فى الديا ر إمـام ألفــتـهـا وحـســن عـلاها

وحـــسين فـى الأحـــرار والأبرار مـــا أزكى شـــمـــائله ومـــا أنداها

فـتعلمـوا رىَّ اليقين من الحـسين إذا الحـــوادث أظلمـت بدجـــاها

وتعـلمـــوا حـــرية الإيمـان من صـبـر الحـسين وقـد أجـاب نداها

وما أجمل ماختم المحب قصيدته بهذا البيت :

فـــالله ينفــعنـا بهم وبنسـلهم حـتـى نصيـــر بهم من الســعـداء

وللشيخ الصاوى شعلان فى حب الإمام الحسين هذه الأبيات أيضا:

أنت الشهيد ابن الـشهيد وهكذا إرث المكارم منصبًـا عن منصب

فى كـربلاء تركت درسًـا خـالدا بسـوى الدمـاء حـروفـه لم تكتب

وعزفت عن شرب الفرات مرنقا لما رأيـت عليـــــه ذل المشــــرب

والحر يؤثر أن يموت بعـزمه أسدًا ولايحـــيـــا بمكـر الثـــعـلب

ذكرى خلودك يا حسين صحيفة ذهب الزمـان وحسـنهـا لم يذهب

وللشيخ محيى الدين بن عربى قصيدة جاءبها:

أرى حب آل البيت عندى فريضة　　على رغم أهل البعد يورثنى القربا
فما اختار خير الخلق منا جزاءه　　على هديه إلا المودة فى القربى

وللشيخ الصاوى شعلان فى حب أهل البيت كذلك وخص السيدة زينب التى شرفت مصر بمقامها الكريم هذه الأبيات :

أشقيقة السبطين　　حيا الله صاحبة المقام
يا نفحة الزهراء يا　　أخت الإمام ابن الإمام
أو ديعة الهادى بمصر　　لنا بحبكم اعتصام
ومن الملائك موكب　　معنا يؤدون السلام
لم لا ونور المصطفى　　لما أقمت هنا أقام
فى شهر معراج النبى　　المرتجى يوم الزحام
بادرت هذا الشهر　　معراجًا إلى دار السلام
نهدى السلام إلى التى　　من جدها عرف السلام
نهدى التحية فى البداية　　والتحية فى الختام

مصر ملاذ أهل البيت :

جاء فى كتاب حسن المحاضره فى أخبارمصر والقاهرة للسيوطى :

وقد ذكرت مصر فى القرآن المجيد فى أكثر من ثلاثين موضعًا بعضها بطريق الصراحة وبعضها بطريق الكناية فمن الصريح «اهبطوا مصرًا» فإنّ لكم ما سألتم» البقرة ٦١

(وقال الذى اشتراه من مصرَ) يوسف ٢١

(أليسَ لى ملكُ مصرَ) الزخرف ٥١

ومن غير الضريح

(فأخرجناهم من جناتٍ وعُيون) الشعراء ٥٧

كذلك ورد فى الحديث الشريف ذكر مصر كثيرا منها عن كعب بن مالك عن أبيه سمعت رسول اللّه ﷺ قال : «إذ فتح الله عليكم مصر فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحما ».

وقال: « إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا بها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض» فقال أبو بكر رضى الله عنه ولم يارسول الله قال لأنهم وأزواجهم فى رباط إلى يوم القيامة، وحكى أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرسل إلى عمرو بن العاص وهو خليفه بمصر عرفنى عن مصر وأهلها وأحوالها وأوجز ،فأرسل إليه عمرو.

و مامصرنا مصر ولكن أرضها كجنة فردوس لمن كان يبصر
وأولادها الولدان والحور غيدها وروضتها الفردوس والنهركوثر

تفضيل أهل البيت مصر مقاما لهم :

ومن حظ مصر والمصريين أن الله تعالى قضى أن يحصل لهم الشرف العظيم باحتواء أرض هذا البلد الطيب قبور الصالحين من أولياء الله ومنهم كثير من أهل بيت النبى ﷺ فكما تشرفت المدينة المنورة بقبر النبى ﷺ وأصحابه فقد تشرفت مصر بقبور

أهل بيته فمصر هى أكثر بلاد المسلمين التى دفنت بأرضها أعداد كثيرة من أهل البيت وماذلك إلا لصلاح أهلها وحبهم لأهل البيت حبا فى جدهم المصطفى ﷺ الذى أوصى بحب الله وحب رسوله وحب أهل بيته . وقد استقبلت مصر من جاء منهم إليها بالترحيب والولاء والبهجة فكان حكامها وأثرياؤها وتجارها والشيوخ والصبيان يخرجون لاستقبالهم على الحدود استقبالا قلبيا يليق بمكانتهم فى القلوب وقد أصبحت مصر فى عيون المسلمين فى كل بلاد الإسلام رمزا للوفاء لأهل البيت يقصدها الناس يتبركون بآثار المصطفى المتمثلة فى عترته الطاهرة الزكية وعلى رأسهم الإمام الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة والسيدة سكينة والسيدة فاطمة النبوية وكثيرون يسكنون أضرحتهم فى أرض مصر المباركة رضى الله عنهم أجمعين ونفعنا بحبهم وبمودتهم . ولاحرمنا الله من شفاعة جدهم المصطفى ﷺ الذى أوصى بحبهم وإكرامهم والتآسى بأخلاقهم والانتفاع بذكراهم .

وقد حرص المحبون واهتموا بزيارة أضرحة الصالحين وأهل البيت خاصة على اعتبار أنها ذكرى من ذكريات الرسول ﷺ منسوبون إليه ﷺ ومن حق المنسوب أن يحترم إجلالا للمنسوب إليه وكما قال الشبلنجى «اعلم أنه لا اعتبار لاختلاف الآراء حول دفن بعض أهل البيت بمصر أو بغيرها من بلاد المسلمين فإن الأنوار التى على أضرحتهم شاهد صدق على فضلهم ولاينكر ذلك إلا من ختم الله على قلبه. وصدق القائل حول تعدد الآراء فى مقر رأس الإمام الحسين حيث المحبة كامنة فى القلب مع حسن الظن بمكان الزيارة .

لا تطلبوا المولى الحسين بأرض شرق أو بغرب

وذروا الجميع ويعموا شطرى فمشهده بقلبى

فإذا لم يكن الولى بمكان الزيارة فإن الزيارة بثوابها تصل إليه وتتحقق للزائر أينما كان .

وبالزيارة يتحقق المعنى الذى يكنه الزائر للمزور فـى قلبه ووجدانه وتلك خاصة من خـواص الأولياء الذين لهم مـا يشـاءون عند ربهم والقـصد هو إحـياء الذكـرى للاتعاظ وللتعبـير عن عواطف المحبة والمودة التى جعلهـا رسول الله ﷺ واجبة على كل مسلم فـعلمنا أن الصلاة عليه لا تتم إلا بالصـلاة عليهم نقول فى التشـهد اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا مـحمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم

وفى هذا قال الإمام الشافعى :

يا آل بيـت رسـول الله حـبكمُ   فـرض من الـله فى القـرآن أنزله
يكفـيكم من عظيم القـدر أنكمُ   من لـم يصل علـيكم لاصـلاة له

ولم يقتصر المسلمون فى مجال تكـريم الصالحين من أولياء الله بإقامة الأضرحة لهم بل وضع العلماء مـصنفات وكتبـا فى آداب الزيارة وترتيبها وفـضلها وعلى رأس هذه المؤلفـات كتـاب شمس الدين مـحمـد بن الزيات «الكواكب السيـارة فى ترتيب الزيارة» فجاء فى فصل ابتداء الزيارة وترتيبها قوله :

أما ابتداؤنا بالزيارة فـمن المشهد النفيـسى لما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: النجوم أمـان لأهل السمـاء وأهل بيتى أمان لأهـل الأرض » وقد أردت بذلك أصح المشاهد كما رواه السادة العـلماء رضى الله عنهم ولم أر أحدا من أرباب التاريخ صح مشهـدا بغير القرافـة من مشاهد أولاد على بن أبى طالب رضى الله عنه إلا المـشهد النفيسى لأنها أقامت به فى أيام حياتها وحفرت قبرها بيدها رضى الله عنها.

فمشـهد السيدة نفـيسة قد أجمع المـؤرخون على أنه ثابت فى مكانه وهو نفس المكان الذى دفنت فيه رضى الله عنها . .

خاتمــــة :

وبعد أن اقتـربنا من واحدة من أهل البيت الكرام وسيـدة من أحباب المصطفى ﷺ وتعرفنا على فضل أهل البيت وكـيف أنهم وصايا رسول الله ﷺ إلى المؤمنين . لعلنا بعد ذلك نكون قد عـمرت قلوبنا بمحبتهم وامتـلأت من عطر النبوة الذى سرى فى أرواحهم فزكـاها ثم جمّل قلوب المحبين وملأ وجـدانهم بنشره الزكى ومن أحب قوما حشر معهم .

فهذه سـيدة أهل الفتوة الملـقبة بكريمة الدارين نشأت فى مـدينة رسول اللّه ﷺ فطابت منشأ وقدمت إلى مصر التى اختصت بحسن استضافة أهل البيت وفيها أجرى الله تعالى علـى يديها الكرامات من عطاء الله لأحـبابه وأوليـائه وشهد لهـا العلماء والأئمة . شهدوا لها بالعلم والعبادة والإحسان .

طيب الله ثراها ونفعنا بها فى الدنيا والآخرة .

تم بحمد الله وعونه

المراجع

الكتاب	المؤلف
السيدة نفيسة رضى الله عنها	توفيق أبو علم
السيدة نفيسة بنت سيدى حسن الأنور	أحمد الشهاوى سعد شرف الدين
السيدة خديجة الكبرى أم المؤمنين	حسن كامل الملطاوى
فضل آل البيت	تقى الدين أحمد بن على المقريزى تحقيق محمد أحمد عاشور
أهل البيت فى مصر	عبد الحفيظ فرغلى قرنى
رياض الرياحين فى حكايات الصالحين	عفيف الدين بن أسعد اليمنى
المسجد النبوى الشريف ومزارات أهل البيت	النبوى جبر سراج إسماعيل أحمد إسماعيل
نور الأبصار	الشبلنجى
الجواهر النفيسة فى مناقب السيدة نفيسة	محمد عبد الخالق سعيد
فاطمة الزهراء	توفيق أبو علم
الإمام الحسين والإمام الحسن	حسن كامل الملطاوى
السيدة زينب	على أحمد شلبى

الفهرس

المكتبة التوفيقية
أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين